المشرق

خزائن الكُتب في دمشق وضواحيها

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم القرّاء كم مرّة ذكرنا بالخير اصحاب الهمّة والاريحيّة الذين يستخرجون من مدافن النسيان كنوز آداب الاقدمين ونوادر تركاتهم العلميَّة. على انَّ ثناءنا في الغالب يصيب الاجانب من المستشرقين الذين لا يضنُّون ببذل النفس والنفيس في جمع ذخائر السلف فتراهم يتجشَّمون الاسفار ويبذلون الاموال الطائلة عن يد سخيَّة ولا يقرُّ لهم قرار الى ان يفوزوا بالمرغوب

ويسرُّنا اليوم ان نطري احد أُدباء بلادنا وهو الشاب اللوذعي حبيب افندي زيّات الدمشقي وطنًا والرومي الكاثوليكي مذهبًا فانهُ اذ علم انَّ مسقط رأسهِ الفيحاء كانت قديمًا مباءة الملوك والخلفاء ومنبثق اشعَّة الحضارة والمدنيَّة راجت فيها اسواق الآداب وازدهت منائر العلوم احبَّ ان يوقف ارباب البحث والتنقيب على بعض دفائن الماضين من اهل دمشق وضواحيها ولم يثبّطهُ في سبيل تحقيق مساعيهِ ما وجدهُ من العراقيل وضروب المصاعب فوضع كتابًا ضمَّنهُ ما بلغت اليهِ يدهُ من نفائس هذه الآثار وفوائد سالف الاعصار. وللكتاب اربعة اجزاء وقفنا على جزءين منهُ نصفهما لافادة القرّاء ونضيف اليهما ما نرى في ايرادهِ تبصرة للادباء

الجزء الاول

خزائن الكتب في دمشق

افتتح المؤلف الاديب هذا الجزء بكلام مجمل عن مكاتب دمشق الوقفيَّة التي

كانت تحتوي على ما ذكر ابن زيدون « اسفاراً فيها للمطالع منجع وللافهام الناسية ذكرى تنفع ». وروى انهُ قد بقي من هذه الموقوفات بقيَّة الى هــذه السنين الاخيرة في الجامع الاموي فتلفت في الحريق الذي اصاب الجامع في ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٩٣ اللهمَّ الّا ما كان منها في بيت الخطابة فنُقل الى قبَّة الملك الظاهر

وكذلك سلم من الحريق ما كان محفوظاً في قبَّة المال التي موقعها في باحة الجامع عن يسار الداخل من باب البريد. وقد سبق لنا ذكر هذه القبَّة وما اكتشف فيها العلامة الالماني برونو ڤيوله (المشرق ٥: ٤٧) من الرقوق القديمة في عدَّة لغات. وجناب الاديب حبيب افندي زيات قد اتسع في وصف هذه القبَّة ودفائنها التي في جملتها « قطعة من التوراة في الاسطرنجيلي تبلغ ٣٦ صفحة تتضمَّن فصولاً من سفر الاعداد وسفر الخروج » ثمَّ ختم كلامهُ بقوله (ص ٥) انَّ « هذه القبَّة وحدها كافيــة في الدلالة على ما كانت عليه المكاتب والمخطوطات قبلًا في دمشق » وابدى اسفهُ على ما انتاب هذه الخزائن من النهب والحريق « بحيث لم يبق منها في منتصف القرن الحاضر الّا بقيَّة عبثت بها ايدي المطامع والاهمال فانتقل عدد منها ليس باليسير الى المكاتب الاوربيَّة او دخل في حوزة بعض الخاصَّة ولا سيما المؤلفات التاريخيَّة »

(مكتبة الملك الظاهر) ثمَّ انتقل جناب الكاتب النحرير الى ذكر المكتبة التي امر بانشائهـا الطيب الذكر مدحت باشا سنة ١٨٧٨ خدمة للمعارف وافرد لها خزانة عموميَّة جعلها في الظاهريَّة حيث كان ضريحا الملك الظاهر وابنه الملك السعيد. وشكَّل لجنة لتقوم بهذا المشروع الجليل فنُقلت الكتب الموقوفة على المساجد والمدارس في دمشق الى هذه الخزانة وطُبع لها فهرست في مطبعة الجمعيَّة الخيريَّة سنة ١٢٩٩ (١٨٨١) هو عبارة عن ١٠١ صفحة يحتوي اسماء ٢٨٦٥ مجلداً في ٣٩ علماً مع ذكر سماء المؤلفين والمكاتب التي نُقلت منها هذه المصنفات الثمينة. واكثر هذه التآليف مخطوطة والبعض منها بالفارسيَّة والتركيَّة

ولمَّا صار زمام الولاية الى يــد صاحب الدولة رؤوف باشا سنة ١٨٩٣ صرف عنايتهُ الى هــذه المكتبة فاستحضر لها عدَّة تصانيف طُبعت في الشرق والغرب فصار مذ ذاك العهد عدد اسفار هــذه المكتبة ٣٥٦٦ مجلداً المخطوط منها ٢٥٤٨ والباقي مطبوع

وقد اعاد جناب المؤلف النظر في فهرست مكتبة الملك الظاهر فوجدهُ مخلًّا من عدَّة وجوه في اعلاماته ووصفهِ للكتب ولذلك عَلِق منذ عشر سنين يطالع المصنفات فردًا فردًا ويدقّق فيها النظر ليبدي فيها ملاحظاته

واوَّل ما لحظهُ الكاتب الالمعيّ ان اللجنة المتولّية طباعة الفهرست لم تذكر الَّا عشرًا من المكاتب التي أُخذ عنها مجموع خزانة الملك الظاهر وهي: ١ً المكتبة العُمَرِيَّة نُقل منها ٦١٤ مجلدًا وكان عددها سابقًا بضعة آلاف فتنازعتها ايدي الضياع. ٢ً مكتبة عبد الله باشا عظم زاده وقفها سنة ١٢١١ (١٧٩٦م) على المدرسة التي باسمهِ وهذه المكتبة وصفها المستشرق فلوغل (Flügel) في طبعة لندن من كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (المجلد السابع ص ٢٢—٢٩) نُقل منها ٤٥٨ مجلدًا. ٣ً مكتبة سليمان باشا وقفها على المدرسة التي باسمهِ سنة ١١٩٦ (١٧٨٢) عدد مجلداتها ١٢٧. ٤ً مكتبة الملّا عثمان الكردي كانت في المدرسة السليمانيَّة (٣١٣ مجلدًا). ٥ً مكتبة الخياطين من اوقاف الحاج اسعد باشا بعد السنة ١١٦٥ (١٧٥٢) على مدرسة والده الحاج اسمعيل باشا التي كان موقعها في محلة الخياطين (٣٧٦ مجلدًا). ٦ً المكتبة المرادية للشيخ مراد النقشبنديّ المتوفّى سنة ١١٢٢ (١٧١٩م) نُقل منها ٣٤٦ مجلدًا. ٧ً مكتبة المدرسة الشميصاتيَّة كانت لاحقة بمكتبة الجامع الاموي فنُقلت اليها اضيق الجامع (٧٧ مجلدًا). ٨ً مكتبة الياغوشيَّة او السياغوشيَّة نسبة الى الوزير سياغوش باشا المتوفّى سنة ١٠٢٨ (١٦١٩م) ولم يُنقل منها سوى ١١ كتابًا. ٩ً مكتبة ديوان الاوقاف (٦٧ مجلدًا). ١٠ً مكتبة بيت الخطابة كانت في حجرة الخطابة في الجامع الاموي (٧٣ مجلدًا). غير انَّ جناب حبيب افندي الزيّات قد وجد كتبًا خُطَّ على هامشها اسماء مكاتب غير المكاتب المذكورة كالمكتبة الاحمديَّة ومكتبة يلبغا ومكتبة الكزبري لم ينصَّ عليها اصحاب اللجنة امَّا سهوًا وامَّا خوفًا من اطالة الشرح

ومن ملحوظات المؤلف انَّ اصحاب الفهرست القديم لسرعتهم في العمل جعلوا بعض الكتب في غير ابوابها وخلافًا لمشتملاتها ولعلَّهم خُدعوا باسمائها الظاهرة دون الاطلاع على فحواها

وما هو اجدر بالملاحظة واختبرناهُ بنفسنا ان (ص ٢٠): «اكثر المؤلفات قد اقتُصر

فيها على نقل جزء من عنوانها فقط بحيث لا يُعرف موضوعها الخاصّ الّا بعد المطالعة وربّما حُذف منها بعض اسماء مؤلفيها لضيق صفحات (او بالاحرى جداول) الفهرست عن استيعاب كل هذا التفصيل الذي ضمّنتهُ في سطر واحد. ومن المصنّفات ايضًا ما تراهُ احيانًا مذكورًا بالنقص وهو تامّ او ما يُظنّ كاملًا وهو ناقص الى ما شاكل ذلك من الاوهام ومواضع التقصير التي اورثتها العجلة »

امّا المجاميع فقد ذهبت فائدتها على الغالب لانّ صاحب الفهرست لم يذكر منها الّا عنوان الكتاب الاول وربّما احتوى المجلد على تصانيف عديدة في علوم شتّى لم يُشر اليها بتّة

فكل هذه الشوائب حملت كاتبنا الهمام على تدوين اصلاحاته للفهرست القديم. وقد بدأ بالمجاميع فوصفها وصفًا حسنًا وهي لا تقلّ عن ١٣٢ مجموعًا في ضمنها بعض تآليف نادرة في اللغة والتاريخ والادب يرتقي عهد قسم منها الى القرون الاولى من الهجرة. ولولا الخوف من الاسهاب لذكرنا بعضها لكنّنا نجتزئ باحالة القرّاء الى مراجعتها في قائمة ادبينا حبيب افندي من الصفحة ٢٧ الى ٤٠

ومن خواصّ هذه المجاميع انّ بعضها كُتبت بخطوط مؤلفيها.« وممّا يزيد في قيمتها وجود اوراق شتى من الرقّ فيها نُزعت من مخطوطات قديمة. . . اتخذوها للتغليف والتجليد منها ما هو بالعربيّة ومنها ما هو باللاتينيّة وسائرها باليونانيّة والارمنيّة والسريانيّة. . وكذلك ما بين المقاطيع والمنثورات المحفوظة في المكتبة تسع كراريس مجلدة بصفائح من الرقّ احداها باللاتينيّة. . . وثمانية بالسريانيّة. . وهي فصول من الانجيل مكتوبة بالاسطرنجيلي »

وفي اثر هذه المجاميع اورد جناب المؤلف وصف كتب الفرائض (ص٤٠) ثمّ التوحيد والكلام (ص٤١) ثمّ التصوّف (ص٤٩) ثمّ اللغة (ص٦٢) ثم النحو والصرف (ص٦٤) ثمّ المعاني والبيان والبديع (ص٦٩) ثم المنطق وآداب البحث والمناظرة (ص ٧١) ثمّ السيرة النبويّة (ص ٧٢) ثمّ التاريخ (ص٧٥) ثمّ الادبيّات المنثورة (ص ٧٩) ثمّ الادبيّات المنظومة (ص٨٣) ثم الجغرافية (ص٨٥) ثمّ الطب (ص٨٦) ثمّ الكيميا (ص ٨٨) ثمّ الحكمة الطبيعيّة والحساب والجبر والهيئة (ص ٨٩) . وفي خلال اوصاف هذه المخطوطات افادات شتى تدلّ على حسن ذوق المؤلف ودقّة نظرهِ. وقد نقل من

الكتب الموصوفة نبذاً مستملحة تشتمل على فوائد تاريخية نخصُّ منها بالذكر ما اثبتهُ من وصف اعراس المسلمين في اوائل القرن العاشر للهجرة نقلاً عن كتاب نسمات الاسحار لعلوان الحموي (ص٥٤)

وقد ختم وصف هذه المخطوطات بما نستلفت اليه انظار المطالعين قال حفظهُ الله: « وعلى كلّ حال فهما يبلغ عددها (اي مخطوطات مكتبة الملك الظاهر) لا يكون الّا يرضاً من عدّ بالنسبة الى ما لا يزال مكتوماً في المكاتب الخاصة وهي ليست بالنادرة فانّ في بعضها ما لا يقلّ عمّا في الخزانة الظاهريّة قيمةً وخطراً كمكتبة السيد ابي السعود افندي الحسيب نقيب الاشراف وعبد المجيد افندي السفطي والشيخ طاهر افندي المغربي والمرحوم الشيخ خالد الصاحب والشيخ احمد ابي الفتح والمرحوم محمود حمزة ومراد افندي القوتلي وكثيرين غيرهم ولكنّ الوقوف عليها صعب الملتمس عسر الخطّة ودونهُ عقبات شتّى تنغضُ طرف الآمال وتقصُّ جناح الرغبة (١) »

(كتب الاديار والكنائس) ثمّ تخطّى الكاتب الاديب الى ذكر المكاتب النصرانيّة الموجودة في دمشق (ص٩١) فذكر اديار حضرات الآباء المرسلين اللاتينيين حيث وجد « مكاتب خاصّة تعني بحاجة الرهبان وليس فيها من المخطوطات شيء حريّ بالذكر »

ثمّ تعدّى الى ذكر كنائس الطوائف الشرقيّة بادئاً بمكتبة الطيب الاثر السيد اقليميس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان وكان لهُ خزانة كتب واسعة منها مخطوطات سريانيّة جليلة اهدى القسم الاكبر منها لجمع انتشار الايمان وقد أطلعنا عليها في رومية العظمى ولها فهرسٌ طبعهُ احد كهنة جماعة سان سولبيس بالفرنسيّة. وقد بقي فيها بعض مخطوطات أُخرى بالعربية والسريانيّة لم يذكرها جناب الكاتب وقد اوقفنا عليها سيادة الحبر الجليل المطران ميخائيل بخاش خلف المطران داود وسنعود الى ذكر بعضها قريباً. وممّا كتبهُ حبيب افندي (ص٩٢): « ان غبطة البطريرك مار افرام رحماني قد اختار من هذه المكتبة بعض مخطوطات سريانيّة في عزمه نقلها الى دير

---

١) وكان جناب الكاتب بيّن في الصفحات السابقة ما قاساه ذوو الامر قبل ان يجمعوا هذه المكاتب المتفرّقة فلم يسلّمها المتولّون عليها الّا بعد ان اخذوا منها انفس مخطوطاتها

الشرفة حيث ينوي انشاء مكتبة جامعة للكرسي البطريركي يضمّ فيها كتبهُ الخاصة وكل ما يقع لهُ من المؤلفات النادرة والاوراق المهمّة في بقيّة ابرشيّات البطريركيّة السريانيّة »

ثمّ روى المصنّف اللبيب ان مكتبة الروم الارثوذكس ذهبت طعمة النار سنة ١٨٦٠. امّا الروم الكاثوليك فكان لهم مكتبة حافلة بالمصنّفات الخطّية منذ عهد استقلالها لاسيا منذ قدم اليها الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم وكان انشأ سابقًا مكتبة في عين تراز وقد تلفت ايضًا هذه الكتب في الحريق المذكور. ومنذ ذلك الحين أُهمل امر المكتبة لانصراف عناية البطريركين السابقين اكليمنضوس بحوث وغريغوريوس يوسف الى ما هو اهمّ شأنًا وامسّ حاجة. وقد تأسف الكاتب الاديب على ضياع كتب اخرى كانت مصونة عند السيدين المرحومَين مكاريوس الحدّاد وبولس مسدّية منها تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي وتاريخ البطاركة الانطاكيين للشماس بولس ابن البطريرك مكاريوس الحلبي وكتاب التختيكون الانطاكي للاب يوحنّا العجيمي. وكذلك ابدى اسفهُ في شأن العرائض والرسائل الواردة على البطريركيّة السابقة من جمهور الاساقفة وغيرهم وقد رآها مطروحة في حجرة مهملة ضمن صندوق مفتوح تتناول منهُ ايدي المارّة ما شاءت. وهو خلل يستدعي نظر ذوي الامر ليتداركوهُ بالاصلاح

الجزء الثاني

صيدنايا ومكتبة دير الشاغورة

قد استهلّ جناب الاديب حبيب افندي زيّات هذا القسم الثاني بوصف صيدنايا وآثارها القديمة والحديثة لاسيا كنائسها العديدة ثمّ استرسل في الكلام فذكر لمعة من تاريخها واخبار اساقفتها خصّ منهم بالذكر ثاوفيطس نصري الحلبي الذي رُسم عليها في دمشق سنة ١٧٠٥ من يد البطريرك كيرلُس الخامس. وثاوفيطس المذكور هو الرجل البارّ ذو السيرة الطاهرة الذي دوّن سيادة المنسنيور الارشيمندريت الكسيوس كاتب ملخّص ترجمة حياته في المشرق (٣ : ١٠٦٨). وزادنا به علمًا مؤلف الكتاب واورد صورة منشور بطريركي لاثناسيوس الخامس يُفهم من منطوقهِ انهُ يضمُّ الى عهدة المطران ثاوفيطوس ابرشيّة معلولا بعد هجرة اسقفها الى بلاد الكرج

والمنشور السابق ذكرهُ قد عثر عليه جناب حبيب افندي في كتاب مخطوط لنعمة

ابن الخوري توما الحلبي دعاهُ « عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق » اوقفهُ عليهِ الشاعر المجيد قسطاكي بك الحمصي من اعيان مدينة حلب. وفهمنا من وصف هــذا التأليف انهُ هو المجموع الخطي الذي اسعدنا الحظ على وجود نسخة منهُ في الشهباء قبـل ١٥ سنة. وهو عبارة عن اثنتين وستين رسالة في ١٤٢ صفحة من انشاء نعمة الحلبي المنوه بهِ كتبها عن لسانهِ او عن لسان اهل طائفتهِ الملكيَّة الى قداسة الاحبـار الاعظمين والكرادلة والسفراء والوجهاء. وهو مجموع حريٌّ بالطبع يتضمَّن اخبار طائفة الروم الكاثوليك من نحو سنة ١٧١٥ الى ١٧٦٧. وهو احسن شاهد على سوء اعمال البطريرك الدخيل سلفسترس القبرصيّ وانصارهِ وردّ التهم الباطلة الذي اتَّهم بها الكاثوليك بعضُ اصحاب الاغراض مع ما في هذه الرسائل من بيان خضوع البطريرك اثناسيوس الخامس للكرسي الرسولي رغمًا عن ممالأتهِ في بعض الاحيان للمنفصلين عنهُ. ونسخة مكتبتنا الشرقيَّة تختلف عن نسخة جناب قسطاكي افندي بامور. منها انَّ اسم منشئ هذه الرسائل لم يُذكر فيها كما انَّ ليس لكتابنا عنوان يشملهُ ولا خاتمة في آخرهِ يؤخذ منهـا انهُ انتهى من جمعهِ سنة ١١٧٣ هجرية (١٧٥٩م) بل ترى فيهِ من الرسائل ما يتَّصل عهدهُ بما وراء هذا التاريخ الى سنة ١٧٦٧ دون الرسالة المكتوبة سنة ١٨١٢ وكذلك لم نجد المنشور الذي يتضمَّن تقليد ناوفيطس اسقف صيدنايا ابرشيَّة معلولا. ففي هذه الاختلافات دليل على ان نسختنا غير نسخة قسطاكي افندي وانهُ يمكن اصلاح الواحدة بالثانيـة على طريقة المقابلة

امَّا شعر نعمة ابن الخوري توما فليس في يدنا منهُ شيء. بيد اننا عثرنا عند احد وجوه البلدة على خبر رحلةٍ من حلب الى اللاذقية فبيروت فمصر كتبها بعض الحلبيين نثرًا ونظمًا تظنُّها من قلم ابنــهِ توما وسننشرها ان شاء الله في المشرق اذا ما اطَّلعنا على ترجمة حياتهِ وحياة ابيهِ نعمة الشاعر الكاتب الذي شوَّقنا جنـاب حبيب افندي زيَّات الى معرفتهِ بما اثبتهُ عنهُ في ذيل كتابهِ (ص١٠٥–١٠٩) ورغَّبنا في الاطلاع على ديوانهِ وقصائدهِ التي مدح بها البتول « سيدة الانام واشرف العالمين »

وفي اثر هذه المقدّمة المفيدة (ص١١٣–١٢٠) ذكر المؤلّف مكتبة دير الشاغورة الذي في كنيستهِ كانت ايقونة البتول العجائبيَّة ثم وصف اجتماعهُ بوكيل هذا الدير وبرئيستهِ « الحاجَّة سعدى هلال » التي قصَّت عليهِ خبر المكتبة التي كانت حافـلة بالمخطوطات

النادرة لاسيما السريانيّة فخاف الوكلاء وهم الخوري ميخائيل كك والشخاشيري وجبران الميداني « ان تكون هذه المخطوطات حجّة بيد السريان يتقوّون بها على اثبات حقوقهم على الدير . . . فجمعوها في فرن الدير لتكون وقودًا وخبزوا لها خبزتين » (راجع تفاصيل هذا الخطب العظيم والبلاء الجسيم في المشرق ٢ : ٥٨٦)

وممّا وجدهُ جناب الراوي في بقايا مكتبة الدير « بعض كتب في اليونانيّة في مجلدات قليلة وسائرها في العربيّة لا يكاد يُرى فيها غير نسخ الانجيل وتراجم القديسين وبعض الميامر بين مخطوط ومطبوع . لكنّ السعد وافقهُ على وجود مجلدين مخطوطين بالسريانيّة نجوَا بعناية الله من ذلك الحريق ليكونا كشاهد على ما اتلفتهُ ألسنة النار . وكنّا احببنا لو ذكر لنا جناب الكاتب اسم الكتابين ومضمونهما لكنهُ اكتفى بقوله ان تاريخ احدهما سنة ٦٩٣٩ لآدم (١٤٣١م) وان فيه ذكر كير اثناسيوس اسقف صيدنايا واسم الواقف « يوسف باسم شماس ابن القسيس يوحنّا ابن قس ضومط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم طرابلس »

ولا ريب في انّ هذين الكتابين من جملة الكتب السريانيّة المستعملة قديمًا في الكنيسة الانطاكية . ومثل هذه الكتب الطقسيّة لا يحصيها عدّ ليس فقط في جهات معلولا وصيدنايا كما زعم البعض لكن حيثما كان الملكيون (١ . والدليل على ذلك ما جاء في مقدّمة القنداق المخطوط سنة ١٦٣٣ باللغتين السريانيّة والعربيّة المحفوظ في مكتبة الطيب الذكر المرحوم السيد اقليميس داود في كنيسة السريان في دمشق (عدد ١١٥) . والمقدّمة هي للبطريرك افثيميوس الثاني كتبها اذ كان مطرانًا على حلب وكان يدعى ملاطيوس (٢ وهذا نصها بالحرف الواحد بعد البسملة :

« . . . هذه الافاشين والطلبات سلّموها (ايّ الآباء الاقدمون) الى كهنة مسيحيين والى جماعة نصارى اورثذكسيين . ولمّا كان لفظها رومي يوناني ترجموها الروم عربي وسرياني وبعد ذلك تغيّر من الجهّال لمّا نسخوه لانهم زادوا في الكلام وانقصوا . فعندما وقفتُ انا الفقير ملاطيوس

---

١) جاء في المنار (٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١) ما نصّهُ : « كانت الطقوس تقام قبل ذلك (اي قبل ملاطيوس الحلبي) باليونانية الّا في جهات لبنان والبقاع والنبك فانها كانت تقام بالسريانيّة لانّ اكثر الارثوذكس فيها هم من مرتدّي اليعاقبة ولغتهم سريانيّة » وسيظهر من قول ملاطيوس الحلبي انّ السريانيّة كانت شائعة بين الملكيين الخاضعين للكرسي الانطاكي قاطبةً .

٢) وقد ذكرنا في المشرق (٣ : ٢٦٠ و ٧١٨) تعريبهُ للكتب الطقسية

على النسخة العربية والسريانيّة قابلتُ على نسخة الاصل اليونانيّة والروميّة فوجدتها كلها نقصاً وتغييراً فطابقتها على اليوناني بابلغ تقدير واخرجتها الى العربي بكدّ وتعب وانا يومئذٍ مطران بمدينة حلب وحررتها بتاريخ الف وثمانة وثلاثة وعشرين الموافقة لسنة الف وثلاث واربعين للهجرة »

فهذا الكلام يدلُّ على شيوع اللغة السريانيَّة في الكنيسة الملكيَّة الانطاكيَّة الى اواسط القرن السابع عشر كما ذكرنا ذلك غير مرَّةٍ في المشرق. واغرب من هذا انَّ ملاطيوس الحلبي لم يُبطل استعمال هذه اللغة في الطقس الملكي ولذلك ترى في هذا الكتاب عدَّة صلوات بالسريانيَّة والعربيَّة في عمودين وهذا مثال الصفحة الاولى الباقية وقد سقط ورقة او اوراق من الكتاب بعد المقدمة :

... والكاهن يقول سرًّا هذا الاثنين: ايها الرب الهنا يا من طأطأتَ السماوات لخلاص جنس البشر انظر الى عبدك والى ميراثك ايها القاضي المرهوب الوادّ للبشر . . . والكاهن يعلن:

لكن عزّ ملكوتك مباركًا وممجدًا
ايها الاب والابن والروح القدس الآن والى كل
اوان والى الدهر الداهرين

ܢܗܘܐ ܐܘܚܕܢܐ ܕܡܠܟܘܬܟ
ܡܒܪܟܐ ܘܡܫܒܚܐ ܕܐܒܐ
ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܗܫܐ ܘܒܟܠ
ܙܒܢ ܘܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ

وما عدا هذا القنداق ترى في تركة السيد اقليميس داود ثلاثة كتب أُخرى (عدد ١٠٤ و ١١٥ (٢) و ١١٧) مكتوبة بالسريانيَّة مع قسم صغير عربي تحتوي طروباريات وبروجيازمانات وافاشين مختلفة وافخولوجيون كبير وفي العددين ١١٥ (٢) و ١١٧ صلوات بالسريانيَّة محلاة بالعلامات الموسيقية اليونانيَّة رسمنا شيئاً منها (انظر صورة الخطوطات السريانيَّة الملكية)

وما يختصّ بهذه الكتب الطقسيَّة الملكية انَّ حرفها السرياني يختلف عن حروف الطوائف السريانية الاخرى فانهُ اقرب الى الخطّ الاسطرنجيلي القديم كما ترى في صورة هذه الخطوط التي اثبتناها هنا ليقابلها القراء مع القلمين السرياني الشرقي (الكلداني) والسرياني الغربي. وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتب وكراريس من هذا الخط السرياني الملكي. منها كتاب الشرطونيَّات الذي اخذنا عنهُ شرطونية الاسقف (المشرق ٤ : ١١٢٦) ومنها قطعة قديمة من كتاب المناون وجدها في دير سيدة حماطور حضرة الخوري الفاضل جرجس السمعلاني واهداها لمكتبتنا. ومنها قطعة وجدناها في ماردين فيها تسابيح منقولة من اعمال مار افرام. وكذلك الانجيل السرياني الملكي الموجود في كنيسة الحديثة

للروم الاورثدكس في بكفيَّا مكتوب بهذا الخط « كتبهُ سنة ١٨٢٢ للاسكندر و١٥٢٠ للمسيح.. الخاطئ المسكين باسم قس بطرس حاج من قرية الكفور في جبل لبنان(١».

وقس على ذلك كتباً عديدة موجودة في دار البطريركيَّة المارونية وفي الشرفة وفي دير مار اشعيا الرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين (كما اخبرني الثقة منهم) وفي طورسينا وفي مكتبة القبر المقدَّس باورشليم. اما في خزائن اوربَّة فمن هذه الكتب الطقسية للملكيين اكثر من مئة مجلَّد كُتبت في كل انحاء الشرق

وفي الختام نكرّر الثناء على همَّة مؤلف كتاب خزائن دمشق وضواحيها ونشكرهُ على ما اجداناً به من المنافع الجمَّة. ولا نشك في انَّ الاجزاء الباقية تكون حافلة مثل الجزءين الاوَّلين بالفوائد اخذ الله بيدهِ ونفع زمناً طويلاً اهل ملَّتهِ ووطنهِ بمصنَّفاتهِ الجليلة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣٣ حنُّوش

اذا عبرت من ثمَّ وادي غميق بلغت بعد زمن قليل حنُّوش. وحنُّوش هذه هي اليوم عبارة عن دير صغير للرهبان الموارنة البلديين يحدق بهِ بضعة بيوت لسكنى الشركاء. ولكنَّها سابقاً كانت قرية ذات شأن (٢ كما يؤخذ من الآثار العديدة التي تراها مبثوثة في السهل المجاور لها بينها معاصر وحجارة رحيّ ورؤوس اعمدة. وهناك رسم كنيسة قديمة من الطرز البوزنطي تعرف اليوم بكنيسة القديس يوحنا طولها ٢٣ متراً و٥٠ سنتيمتراً في عرض ١٥ متراً. والمرجَّح انَّها كانت مثلَّثة الاسواق وحواليها قطع اعمدة من الرخام مع صلبان منقوشة وبقايا كتابات يونانيَّة ذهب اكثرها فضاعت

---

١) نسخنا هذه الالفاظ سنة ١٨٩٦ من الصفحة الاخيرة التي كانت في آخر هذا الانجيل. وقد بلغنا انَّ الصفحة المذكورة نُزعت من الاصل وأُتلفت

٢) وقد وصفها حديثاً حضرة الخوري بطرس شبلي في المجلة الكتابيَّة (R. Biblique 1901, 583) وانتقد على ما كتبهُ رينان بهذا الصدد

معانيها بيد انَّ هذه البقايا تشير الى خطر المقام الديني وعظم قدره. وكذلك ترى من جهة الشرق مدافن نُقرت في الصخور قد اتلفتها الايام

واغرب ما يوجد في حُنْوش من الآثار جُرن متين العمل قطرهُ متر و٤٠ س وعمقهُ ١,١٥ يبلغ وزنهُ ٣٣٠٠ كيلو غرام يستدير بهِ نقشٌ ناتئ ذو كتابة يونانيَّة مطموسة يستدلُّ من الفاظها الباقية انَّ فلاناً ابن فلان اصطنع هذا الجرن من مالهِ الخاص هبة للمشتري (τῷ Διί) وكلا العلمَين الواردين في هذه الكتابة ساميُّ الصورة والاصل يُدعى احدهما أنيلوس (Ἄννηλος) وهو اسم اراميّ بحت والآخر ناراس (Ναρᾶς) يشبه الاسماء اليونانيَّة المنقولة عن العربيَّة ممَّا ورد في كتابات حوران. وفي تعريف اصول هذه الاعلام فائدة كبرى للوقوف على سكَّان هذه الامكنة وغيرها ايضاً فانَّها تدلُّ على انَّ الاهلين كانوا آراميين جنساً وان كانت اللغة اليونانيَّة اضحت لغتهم الرسميَّة فانَّ الاعلام أصدق اثر ينبي باصل القوم وذكر اجدادهم. وامثال ذلك عديدة فقبائل الفرنك مثلاً بعد استيلائها على بلاد غالية ابدلت لهجتها الجرمانيَّة باللغة اللاتينيَّة. لكن كثيراً من اعلامها بقيت على مسحتها الاصليَّة فكفاك بها دليلاً على تشعُّب الفرنك من العنصر الجرمانيّ

وقد وجد البعض آخراً في جوار حُنْوش نقوداً كثيرة من الذهب عليها كلها صورة يوستينوس الملك. وفي هذا ايضاً دليل على انَّ هذا المكان في سالف الدهر كان احفل بالسكَّان منهُ في ايَّامنا. ولكن ماذا يا تُرى كان اسم المحلّ سابقاً؟ نجيب انَّ في تعريف اسمهِ القديم لبحثاً مفيداً لجغرافية لبنان اعني تطبيق هذا المقام مع بلدة قديمة تدعى جيغرتا

٣٤ جيغرتا

اذا اعملنا النظر في تاريخ القدماء وجدنا في اسطرابون (ك ١٦ ف ٢) ما لم يفِ بالغرض المقصود فانَّ غاية ما يعلمنا بهِ هذا الكاتب انَّ جيغرتا حصنٌ حريز يحتلُّهُ الايتوريُّون موقعهُ عند البحر قريباً من البترون ورأس الشقعة (θεουπρόσωπον) على انَّ في هذا الوصف بعض الايهام اذ لم يُفدنا عن جهة موقع جيغرتا أتكون شمالي البترون ام جنوبيَّها. وهذا الالتباس يُزيلهُ المؤرخ بلينيوس (ك ٥ ف ١٨) ومن قولهِ يتَّضح انَّ جيغرتا شمالي البترون وجنوبيّ ترياريس (وهي انفه كما سترى). وكذلك قد

ورد اسم جيغرتا في قائمة قديمة للمدن الاسقفيَّة التي موقعها على الساحل الفينيقي في اثر البترون وتدعى هناك قرية (Κώμη) (١ وهذا مما يبيّن ان جيغرتا كانت خاملة الذكر على ايام ملوك القسطنطينيَّة. ولا يبعد انها اخذت في الانحطاط منذ زمن يستنيان الملك بسبب الزلزال الذي اخرب الطريق القديمة واضطرَّ اهل السابلة الى ان يمرّوا في مضيق المسيلحة. وهذا ايضاً يعلّل سكوت المؤرخين العرب عن جيغرتا

وممَّا يطلعنا على خطر جيغرتا في ايام دولة الرومان كتابة لاتينيَّة اثبتها رينان في بعثة فينيقية (ص ١٤٨) يُستدلُّ بها على سعة حدود تلك البَلْدة. وقد وُجدت هذه الكتابة في عبرين وقيل انها نُقلت اليها من المُسيلحة او من الهُري فوق شكّا وعلى كلّ حال انّما ينبئ وجودها في احد هذين المكانين بانَّ جيغرتا المذكورة لم تكن بعيدة من رأس الشقعة وعن شمال البترون لانَّ مثل هذه الحجارة لا تُنقل عادةً الى مكانٍ قاصٍ

وهذه الملاحظات اذا اعارها المنتقدون بالًا تحقَّقوا انَّ جيغرتا ليست بزغرتا كما ظنَّ بعض العلماء كفُورِر (Fürrer) (٢ وهو لم يسند رأيهُ الى برهان آخر غير التشابه اللفظيّ بين الاسمين مع ان موقع زغرتا لا يوافق وصف الاقدمين لجيغرتا لبُعد زغرتا عن البحر في شمالي اننة ووقوعها في وسط سهول خصبة لا تصلح للتحصين بخلاف ما جاء عن حصن جيغرتا المشرف على البحر. وعلاوةً عن ذلك لم نسمع انَّ احدًا وجد في زغرتا شيئًا من العاديَّات. على انّنا لا ننكر كون زغرتا من القرى القديمة التي استلفتت انظار الامم الغابرة بحسن موقعها في بطائح مخصبة وأودية غنَّاء يسقيها ماء نهر غير لكنَّنا لا نرى فيها مناعة القلاع وليست هي جديرةً بان يتحصَّن بها لصوص الايتوريين وقطَّاع الطريق كما جاء في وصف جيغرتا

وكذلك لا يصحُّ تطبيق جيغرتا مع غرزوز لبعد غرزوز جنوبًا عن البترون. ولا مع شكّا لوقوعها في السهل او في منعطف آكام قليلة الارتفاع. ولا مع الهُري لخلوِّها من الآثار القديمة وان كان وصف الاقدمين يوافقها بعض الموافقة من حيث الموقع الَّا انَّهُ لا يجوز ان يُنسب الى قريةٍ أصلٌ قديمٌ قبل أن يُكتشف فيها شيءٌ ينبئ بقدمها

امَّا حنُوش فتصدق فيها كلُّ الاوصاف التي وردت عن جيغرتا من حيث قدمها

١) راجع .Relandi Palæstina, 160 ولعلَّ كنيسة مار يوحنا في حنَوش هي الكنيسة الكاتدرائية التي اتَّخذها اساقفة جيغرتا ٢) راجع المجلَّة الفلسطينيَّة الالمانية ZDPV, VIII, 19

وكثرة آثارها واتصال السكة القديمة المنقورة في الصخر عند وادي غميق بمقامها فضلًا عن موقعها في لحف رأس الشقعة قرب البحر بين انفة والبترون . وترى من خلفها صخورًا عالية متطرعة قطعًا عموديًا تصلح قممها لتكون معقلًا لقوم من الصعاليك وعشًا لاهل البغي والفتن يعششون بها دون ان يهابوا مباغتة العدو . وقد شهدنا بالعيان وعورة هذا المكان وصعوبة مسلكه اذ ادركنا الليل ونحن فوق هذه الصخور المرتفعة تحدق بنا من كل جهة المهاوي والوهاد العميقة فآثرنا ان نقضي ليلنا في العراء من ان نلقي بانفسنا في المخاطر بمواصلة السير بين تلك المجاهل . هذا ونظنّ انّ اهل الفساد من الجيغرتيين بعد الفتح الروماني واستتباب السلام نزلوا من مآويهم الحصينة فسكنوا في السهل الممتدّ بين البحر والصخور حيث توجد الاخربة القديمة

امّا اسم جيغرتا (باليونانيّة Γίγαρτος و Γίγαρτα و Γήγαρτα) فلفظةٌ ساميّ الاصل يوافق العبرانيّة גגרתא والسريانيّة ܓܓܪܬܐ ومعنى كلاهما المضيق وشِعب الجبل وهو ينطبق على موقع المكان ولغة ساكنيه القديمة اي الآراميّة وهي لغة الايتوريين الاصليّة . وهذا المعنى على رأينا انسب للمقام من اشتقاق الاسم من اليونانيّة γίγαρτον وهو ثفل العنب (راجع بهثة فينيقية ص ١٥٠)

٣٥ أنفة

أنفة ما وراء رأس الشقعة في آخر السهل الذي بُنيت فيه شكّا . وهي مركز لدرس العاديّات . والقرية الحاليّة موقعها بقرب رأس مستطيل دقيق يشبه البرزخ . وقد خُدّ هذا الرأس في عرضه بشبه خندقين نُقرا في الصخر نقرًا عجيبًا متّسعًا يبلغ سطح البحر . ومن اعتبر هذين الخندقين اخذه الاندهاش من شدّة عزيمة الاقدمين في مباشرة مثل هذه الاعمال الجبّارية كيف نحتوا الصخور الصمّاء كانّ صلابتها تلين بين ايديهم او كانت لديهم ادوات قاطعة غير ادواتنا الشائعة اليوم . وبين هذين الخندقين والقرية ترى اعمالًا اخرى غريبة في شكلها على جانبي الرأس المومأ اليه وكلها منقورة في الصخر

ويلحق بهذين الأخدودين بقايا ابنية ضخمة متّصلة بهما ذات حجارة كبيرة مستندة الى الصخر . وهي آثار جدران تشبه جوانب قلعة جُعل شبهًا عظيمًا في نتوّ حجارتها ووصل هذه الحجارة بعضها في بعض بحيث لا يشكّ الناظر انّ ثمّت كان حصن منيع ويؤيد ذلك تقليد اهل انفة الذين يدعون هذا المكان بالقلعة

وبين الخندقين المذكورين والقرية ترى في الصخور من الآثار المنحوتة المحكمة العمل ما يندر مثالهُ في لبنان كالحمَّامات والمدافن والاحواض ولكلّها اطناف وافاريز جميلة حسنة النحت. وهناك ايضًا رحيٌ ومعاصر عديدة مبثوثة في الحضيض. وللصخر طبقات منظَّمة يُنزَل منها الى البحر بمعابر على جوانبها شبه الدرابزين. وفي مداخلها ثقوب لمزالج الابواب ورزّاتها وفي جانبي الحائط أغوار عديدة منحوتة في الصخر عموديًّا ومنها ما هو متقن الهندام يصلح للسكنى. وكذلك المدافن فانّ لها مسحةً من القدم وهيئتها غريبة

امَّا بُناة هذه القلعة فترجح انَّهم الصليبيون لما بين آثارها وآثار جبيل من الشبه. وقد اثبتنا سابقًا انَّ قلعة جُبيل من ابنية الفرنج (راجع المشرق ٣: ٣٥٠). وفي تاريخ بروكَرد ما يشير الى هذه القلعة فانهُ وصف للفرنج في انفة «قلعة كان معظم جوانبها داخلًا في البحر ولها اثنا عشر برجًا وهي شديدة الحرازة»

لكنَّ الخندقين القاصلين الرأس عن الساحل على رأينا ليسا من اعمال الفرنج فانهما اقدم عهدًا يرتقيان الى عهد الرومان ان لم نقل الفينيقيين. والفينيقيون كما لا يخفى كانوا اتخذوا في ساحل بحر الشام كل الرؤوس البارزة ليجعلوها مُحاصن يرقبون منها البحار ويدافعون بها عن سفنهم الراسية بقربها كما جرى لهم في عكّا وصيدا وبيروت وجبيل فلا نظنّ انهم استثنوا من هذا الحكم رأس انفة فتكون هذه المتاريس والخنادق ممَّا حصَّنوا به قلعتهم وقد رغَّبهم في حفر هذه الاخاديد انهم اتخذوا منها موادَّ بنائهم فكانت بمثابة مقالع لحجارة القلعة

ونرى كذلك ان بقيَّة الآثار الموجودة في أنفة ممَّا نُقر في الصخر اقدم عهدًا من الصليبيين

وكان اسم أنفة قديمًا ترياريس (Τριήρης) ذكرها المؤرخون سكيلكس وبوليبيوس واسطرابون وغيرهم من كتبة عهد الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة وقد ورد اسمها في لائحة الاسقفيَّات القديمة. امَّا اسمها ترياريس فقيل انهُ مشتقّ من اليونانيَّة ومعناهُ «المثلَّثة الزوايا» لشكل رأسها الشَّبيه بالمثلَّث المستطيل (١. وكذلك معنى انفة بالعربيَّة يراد

---

١) هكذا زعم البعض لكنَّنا لم نجد في قولهم حجَّة قاطعة. وعلى كلّ حال اننا نرى انَّ هذه

بها الرأس. والشريف الادريسي يدعوها « انف الحجر » ولعلَّهُ التبس عليهِ اسمها واسم قرية وجه الحجر في رأس الشَّقعة

وليس من غرضنا ان نلخّص في هذه المقالة تاريخ انفة في القرون المتوسّطة وما قال عنها كتبة الفرنج وجغرافيّو العرب لكنَّنا نكتفي باثبات ما جاء عنها في معجم البلدان قال ياقوت (١ : ٣٩٠) : « انفة بُليدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثانية فراسخ » وفي قولهِ غلط ظاهر يريد غربيَّ جبل صهيون او بالحري جنوبيّ غربي صهيون وقد جاء في مراصد الاطلاع بدلًا من« شرقي جبل صهيون » شرقيَّ جُبيل وهو صحيح. وقد افادنا شمس الدين الدمشقي في كتاب عجائب البرّ والبحر (ص ٢٠٧ و ٢٠٨ مع الحاشيتين a b) انَّ « للنصارى في انفة كنيسة عظيمة البناء وبها بيت يزعمون انهُ اول بيت وُضع باسم مريم في الشام وانَّ البيت الثاني المشيَّد بعده لذكرها كان في انطرطوس ». وهذه افادة جليلة لتاريخ النصرانيَّة في سوريَّة. وكانت انفة على عهد الصليبيين من الاملاك اللاحقة بكنتيَّة طرابلس وكان الفرنج افسدوا اسمها باللفظ فدعوها نفين (Nephin). امَّا قلعتها فقد امر السلطان قلاوون بهدمها

٣٦ قلمون

اذا سرت من انفة متوجّهًا الى طرابلس بلغ بك المسير الى قرية بهجة المنظر تدعى قلمون موقعها في وسط حديقة كثيرة الزرع غزيرة المياه. واسم قلمون يُطلق في الشام على عدَّة امكنة منها جبل قلمون المشرف على دمشق ومنها قرية قلمون (Calamon) بجوار الكرمل وحيفا (١ وجبل قلمون في شبه جزيرة سينا. وقد ذكر الادريسي قلعة تدعى قلمون بين صيداء ونهر الدامور.

وقلمون هذه قد دعاها القدماء قلموس (Calamos) وممن ذكرها المؤرخان بوليبيوس

الاسماء اليونانيَّة التي اتخذها اليونان ايَّام دولتهم للدلالة على كل مدن ساحل فينيقية وقرى لبنان كبطولمايس (عكا) وبيبلوس (جبيل) وثاوبروسوبون (راس الشقعة) وغير ذلك لم تثبت زمنًا طويلًا وانما كانت اسماء رسميَّة استعملها عمَّال الدولة فلمَّا سقطت الدولة عادت الاسماء الساميَّة الشائعة على لسان الشعب الذي لم تؤثر فيه لغة الدولة واصطلاحاتها الرسميَّة. وهذه الملاحظة العموميَّة تصدق في ترياريس التي أُهمل اسمها اليوناني وعاد اليها اسم انفة السامي

١) راجع كتاب فلسطين لريلَند Relandi Palæstina, 230, 678 وكذلك راجع اسطرابون. (Strabon, notes 916)

وبلينيوس وغيرها. وربَّما جعلوا اسمها مع اسم جارتها ترياريس وان لم يكن لها من الشأن ما كان لأنفة. وكانت قلمون في القرون الوسطى قلعةً ورد ذكرها في الادريسي والكاتب الفارسي نصري خسرو الخ

وفي قلمون وضواحيها عدَّة آثار قديمة كمقالع ومعاصر ورحي وبقايا اعمدة وغير ذلك ممَّا يدلُّ على قِدَمها. بيد اننا لم نجد في هذه الآثار ما يجدينا علماً عن احوالها ومن ثمَّ لا نرى داعياً لاطالة الكلام فيها

٣٧ دير البلمند

في الجبل المشرف على البحر بين انفة وقلمون على يمين السائر الى طرابلس ديرٌ شهير لا يمكن ضرب الصفح عنهُ نريد دير البلمند للروم الارثذكس حيث يدرس اليوم المترشحون للكهنوت من البطريركيَّة الانطاكيَّة. قال المنار (في عددهِ الصادر في ٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١): «البلمند من اعظم اديرة الشرق فخرًا واضخمها بناء واظرفها موقعاً وابعدها شهرةً وزمن بنائهِ مجهول وقد نابهُ ما ناب اكثر الاديرة الارثذكسيَّة في سوريَّا وفلسطين في غزوة الصليبيين»

قد صدق كاتب هذه الاسطر بقولهِ انهُ يجهل زمن بناء دير البلمند لكنهُ ساء ظنًّا بترقية هذا البناء الى زمن سبق عهد الصليبيين وبنسبتهِ اليهم ما هم براء منهُ وكان الاولى ان يشكرهم على تشييد هذا الدير اذ لولاهم لما رأى عالم الوجود ومصداقاً لقولنا نورد هنا مختصر تاريخ دير البلمند ليقف عليهِ كتبة المنار

كان انشاء دير البلمند في ٣٠ أيَّار من سنة ١١٥٧. وقد تولّى بناءهُ رهبان القديس برنردس المعروفون بالسسترسيين (١ وجعلوهُ تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بِلْمُنت (Abbatia Bellimontis)-وبِلْمُنت لفظة لاتينيَّة منحوتة من كلمتين معناهما الجبل الجميل. وربَّما ورد اسمهُ في كتبة الصليبيين على صورة الفرنسويَّة القديمة «Beauleu» وهي بمعنى «Beaulieu» اي المقام الجميل وهو اسم يطابق المسمَّى

---

١) لنا على ذلك شواهد عديدة منها مناشير للاحبار الرومانيين ذكرها روريخت (Röhricht dans ZDPV, X 35). امَّا ما كتبهُ الاديب جرجي افندي يني في تاريخ سوريا (ص٤٩١) عن مائدة هيكل كنيسة البلمند انَّ عهدها يرتقي الى سنة ١١١٣ م فلم نتحقّقهُ بنفسنا وكنَّا وددنا لو اثبت جنابهُ هذه الكتابة بنصّها. ولعلَّ هذه المائدة نُقلت الى البلمند من مكان قريب

ولذلك قد اتخذهُ اهل طرابلس الى يومنا مَصيف يقضون فيهِ فصل القيظ. ثمَّ افسد القوم بِأَسُنت فجعلوها « بلمند » وممَّا يدلُّ على اصل اشتقاقها انها وردت في كتاب مختصر تاريخ لبنان (من مخطوطات كليتنا) على صورة بَلموند. وعليهِ فلا صحَّة لما قالهُ البعض (١ انَّ بلمند مشتقَّة من اسم البرنس بوئند صاحب طرابلس شيَّدها على زعمهم كنترهِ لهُ في سنة ١٢٨٧. ثمَّ انَّ تاريخ بوئند السابع (١٢٧٤ — ١٢٨٧) لا ينطبق على هذه الرواية لان بوئند قضى السنين الاخيرة من حياتهِ في عاصمتهِ لم يمكنهُ الخروج منها وكان السلطان قلاوون يضايقهُ فيها الى ان توفي في ١٩ تشرين الاول سنة ١٢٨٧ فما كان لهُ اذ ذاك ندحةٌ في تشييد القصور والمنتزهات. هذا فضلاً عن انهُ لدينا نصوص ورد فيها اسم بلمند قبل هذا التاريخ كما سيأتي



ختم بوئند السابع صاحب طرابلس

وبراءات الاحبار الرومانيين في دير البلمند كثيرة (٢ نخصُّ منها بالذكر براءة غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٨؛ واينوكنت الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس الرابع سنة ١٢٥٠. ويظهر من هذه المناشير ان دير البلمند كان اكبر اديرة الفرنج في كُنتيَّة طرابلس. ولمَّا خرج الصليبيون من الشام صار هذا الدير الى يد اليعاقبة وكان عددهم كبيرًا في طرابلس لهم فيها اسقفٌ يرعاهم

وفي تواريخ الفرنج اسماء بعض رؤساء هذا الدير ورهبانهِ. فمنهم الرئيس بطرس الالماني (Pierre l'Aleman) ورفيقهُ « سمعان الطرابلسي ». وممن ترأس على دير البلمند احد اساقفة بيروت اللاتينيين لعلهُ استقلَّ من كرسيهِ فاعتزل في هذا الدير وصار رئيساً عليهِ. وهذا ممَّا يُطلعنا على عظم شأن المكان

ولا نعلم من امر الدير شيئاً بعد تملُّك اليعاقبة عليهِ. وانَّما روى مكاتب المنار انهُ بعد الصليبيين « تشتت شمل رهبانهِ. وخرب » وبقي خرابًا الى سنة ١٦٠٣ وفيها جدَّدهُ

---

١) راجع الدوجي في تاريخ سنة ١٢٨٧ وبعثة فينيقية لرينان (ص ١٢٨)

٢) راجع مجلة الجمعيَّة الفلسطينية (ZDPV, X, 35.)

السيد يواكيم ابن الخوري جرجس مطران طرابلس . وللبلمند بعد هذا العهد اخبار طويلة لا حاجة الى استقصائها

واليوم لم يبقَ من هذا الدير العظيم سوى آثار لا تذكر واذا اعتبرت ابنيته الحديثة لا ترى شيئًا من تلك المباني الفخيمة التي كانت تزين هذا المحل وتنطق بفضل بناته الذين عارضوا الرومان والفينيقيين بآثرهم حتى ان كثيرًا مما كان ينسبهُ العلماء سابقًا لتلك الامم ثبت اليوم انهُ من عمل الصليبيين

وقد بقي في البلمند من ابنيته القديمة قسم من طبقته السفلى منها ردهة جميلة مقبّبة حسنة الاثاث طولها اربعون مترًا وهي اليوم مطمورة في الارض لارتفاع الحضيض بما هبط فوقهُ من ردم الدير القديم . امَّا الغاية من ابتناء هذه الحجرة فليست بظاهرة . وفي جنَبة انحاء الدير الحالي قناطر ونقوش من طرز القرون المتوسطة وهذه الآثار مع قلّتها تنبئ باصل الدير فتبيّن جليًّا ان الصليبيين هم الذين شيَّدوهُ ويتأيد بذلك ما نقلناهُ في صدده من شواهد التاريخ مع بيان اشتقاق اسمهِ الاعجمي من اللاتينيَّة . فناهيك بهذه الادلَّة عن تعريف اصل هذا الدير واصحابهِ الاوَّلين

وفي الختام يسرُّنا ان نبدي لجناب الفاضل غطَّاس افندي قندلفت مدير المدرسة عواطف الشكر لما اظهرهُ من الانس باستقبالنا في هذا الدير . وقد اطلعنا على خزانة كتبهِ التي تحتوي اليوم على مطبوعات حديثة العهد وبعض المخطوطات التي ليس تحتها كبير امر قد جمعها حضرة المدير ونظمها لئلا تأخذها يد الضياع . وكانت هذه المكتبة قديمًا حافلة بالمخطوطات ولا نشك ان في عدادها كانت تآليف عديدة سريانية كما ترى في غيرهِ من اديرة الروم كمكتبة دير جبل سينا ودير مار سابا حيث وجد زوَّار الفرنج مصنَّفات سريانية قديمة غالية الثمن . وكذلك كان دير صيدنايا غنيًّا بذخائر الاداب السريانية قبل ان يحرقها وكلاؤهُ كما ذكر ذلك الشاب الاديب حبيب افندي زيَّات في خبر رحلتهِ الى هذا الدير (راجع المشرق ٢ : ٥٨٦) . الَّا انَّ اليونان الذين تملَّكوا زمنًا طويلًا دير البلمند اتلفوا ما وجدوهُ من هذه الكنوز النفيسة واورثوا قاوبنا الاسف على فقدها

(ستأتي البقيَّة)

اوقاف العائلة الخازنية على ذاتها

نبذة بقلم الاديب الشيخ شاهين افندي الخازن

تولّت العائلة الخازنيّة بلاد كسروان وسوّدت فيهِ الامان ومن لم يكن راغباً بالسلام باع منها املاكهُ بالاصفر الرنّان وذهب الى حيث يخلو لهُ جوّ الفتن فيسرح بلا معاكس ولم يبقَ في كسروان الّا المُخلدون الى السكينة جريًا على ما يرضي الدولة العليّة وأمّة كلّ من حسنت سيرتهُ وطابت سريرتهُ فكان جبلًا مقدّسًا كثرت فيهِ معاهد الصلاة واماكن العبادة واعمال البر وقد امتازت العائلة الخازنيّة اهتمامًا بمثل هذه المنشآت وقفًا وبناء وتأسيسًا وتجهيزًا كما اشتهر عنها وعرفهُ كل ذي إلمام باحوال هذه البلاد

وقد انفردت بين الاسر اللبنانية بانها اختُصّت بشعار لها عرفهُ الملوك سنة ١٦٨٠ في ايّام عظيمها اذ ذاك الشيخ ابي نادر خازن الخازن وقد وصف هذا الشعار العالمان دالميدي ودي جياكومو في المجلد السادس العدد ٧٣٨ من تاريخ لهما وسماهُ بتاريخ النصرانية محفوظ في مكتبة فلورنسا طُبع طبعةً ثانية في رومة سنة ١٧٠٦. امّا الشعار المذكور فهو مثال جبل عالٍ اعتمّ رأسهُ بالثلج الى شمالهِ غصن من شجر الارز المقدس وفي الجهة المقابلة غصن من السنديان الاخضر وأركز على رأسهِ صليب بسط يدهُ الى قاعدتهِ اسدٌ رابض في الجبل ومن قبليّ قمّتهِ هلال سافرٌ يمدّ عليهِ رواق النور مبدّدًا عنهُ حجب الغياهب

فالهلال اشارة الى ان العائلة الخازنيّة عثمانيّة التبعة والصليب الى انها مسيحيّة المذهب والارز الى استمرارها على النسبتين المذكورتين والسنديان الى شدّة تمسكها بهما والاسد الى القوّة

ومهما كانت تهب وتبذل وتعطي حسبت لانقلاب الايّام حسابًا فتجنّدت لهُ بسلاح التقوى وحصّنت من سيأتون منها بموقوفاتٍ واسعة غنيّة تدرّ لبنًا وعسلًا تستوردها ذرّيتهم اذا اصدرها الزمان عن مناهل الاحسان ويقيمونها متراسًا بوجه الدهر متى كشّر لهم عن نابهِ. — ولمّا كانت الدنيا لا تستقيم على احد كان ما توقّعوا ان سيكون وهو ما لا سبيل الى ذكرهِ في هذه الرسالة بل يُرجع بهِ الى صادق التواريخ

غير ان ما يهمني ذكرهُ الآن هو ان هذه الاوقاف الكبيرة لم تأتِ واقتناها من طريق التسلُّط والاحتلال ولا هي من مملوكات القوَّة والسطوة بل ان ما تحفظهُ العائلة من الصكوك الشرعيَّة لدليل رشيدٌ الى انها لم تتملك شبرًا من الارض الَّا بثمنهِ العادل ولم تثبت عليها تهمةٌ ولا ظنة ولديها الفرمانات السلطانيَّة والرسائل الملوكية تمدح امانتها وتراهتها وإقرارها العدل والامان والبرآآت البابَاوِيَّة والمنح الرسوليَّة تطرى تقوى ابنائها وتكافي تدينهم بتخويلهم ما يُمنح افاضل الكهنة والاساقفة من السلطان الديني وان كانوا من العوام وتشكر مناصبتهم كل ما يخالف الدين والادب وستُنشر كلها بالطبع في تاريخ العائلة الخازنية فيطَّلع عليها العموم ان شاء الله

فالعائلة الخازنيَّة اذًا لم تقتضِ مِمَّا لغيرها شيئًا بل تبرَّعت بكثير مِمَّا لها اذكر لنواتهِ اربعة اسباب: الاول اهمالها ما يفيدها انشغالًا بافادة غيرها. والثاني ثبات الايَّام على التغيير :

ومن ظنَّ الزمان اخا وفوءٍ ليصبرْ سوف ينقلب الزمانُ

والثالث تفرُّقها بالرأي شأن كل عائلة كبيرة. والرابع خلقها للبذل وطبعها على العطاء وسابقتها في السماح:

من كان بذَّالًا يعاين مثلهُ في عسرهِ او يرقب البذولا

ولكن كيفما كان من امر هذه الاوقاف التي نحن بصددها فانها اعمال برّ وتقى ومآثر فضيلة وخير ليس من شاني الترسُّل في وصفها لأنّها صادرة عن قوم أنتسب اليهم فاكون كالمادح نفسه بل ذكرتها توسُّلًا الى استدرار المراحم عليهم لانهم محسنون وتوصلًا الى شكر من دوَّنوا بعضها وحَمْدهم على ما ألحقوها بهِ من محاسن الاوصاف المنبئة عن جودة مطالبهم وتراهة قلوبهم جزاهم الله من جودهِ ما يُجزى بهِ اولو الفضل والاجادة

اما وقد درأتُ ما كان قائمًا في غير موضعهِ من بعض الاذهان فاليك من تلك الايادي الغراء ما وقفتهُ العائلة الخازنيَّة على ذاتها اديارًا كبيرة ذات املاكٍ واسعة يُصرف ريعها في سبيل المنقطعين الى التعبد او من يخني الدهر عليهم من ذرّيتها وكنائس خاصَّة بهم يفون فيها واجباتهم الدينيَّة وهي بمثابة مدافن لهم ايضًا وقد حبسوا عليها بعض الاراضي قيامًا بدوام كفايتها مِمَّا تقتضيهِ خدمتها. وقد اتَّبعتُ في نسقها توالي الاعوام وهي طريقتي في مقالتي السابقة غير اني لم اعرف بالتحقيق تاريخ بعض الكنائس لما

دون الوصول اليهِ من الحوائل فألجئتُ الى ذكرها بدونهِ ملحقة بالسنين التي رجح عندي قرب انشائها منها:

١ً نحو سنة ١٦٠٠ بنى ابو نادر خازن الخازن كبير النصارى في لبنان كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية بلّونه تابعةً لدارهِ هناك ثم جُعلت عموميّة في العائلة وأبقي لها الملك الموقوف عليها ابتداء وربّما كان انشاؤها قبل السنة المذكورة لان الواقف المنوَّه بهِ بدل اقامتهُ فجعلها في قرية عجلتون بعد ذلك التاريخ

٢ً سنة ١٦٤٧ بنى الشيخ ابو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة العذراء في قرية عجلتون مركز حكمهِ وكان امير النصارى بعد ابيهِ كما تنبئ الاوامر الملوكيّة المحفوظة عنهُ

٣ً نحو سنة ١٦٨٠ بنى اولاد الحاج سليمان الخازن كنيسة القديس سمعان في قرية عجلتون وقد أتبعتها السنة المذكورة لان المعروف انها أنشئت قبل الكنيسة الآتية وسمّي ابو منشئها حاجًّا لانهُ زار الاماكن المقدَّسة زيارةً دينيّة تبعًا لعادة المسيحيين في تلك الايام

٤ً سنة ١٦٨٩ تمَّ بناء كنيسة القديس اليـاس الحي في قرية غوسطا وهي التي انشأها ابو قانصوه فياض الخازن ملاصقةً دارهُ العظيمة في القرية المذكورة وقد استمرَّ بناء الدار تسع سنوات ابتداء من عام ١٦٨٠ وكانت غوسطا مركز حكمهِ

٥ً سنة ١٦٩١ بنى المشايخ اولاد ابي نوفل الخازن برجًا في قرية مزرعة كفر ديان لحماية املاكهم في صرود كسروان وفي اوائل القرن التابع حوَّلهُ ابناؤهم الى كنيسة على اسم القديس مارون وهي المعروفة بكنيسة ماز مارون البرج

٦ً نحو سنة ١٧٤٠ بنى الشيخ صقر بن عبد الملك الخازن كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية مزرعة كفر ديان المذكورة وقد اوردتها مع هذه السنة لان الشيخ صقر منشئها كانت وفاتهُ سنة ١٧٥١ فيقدَّر انهُ بناها قبل وفاتهِ ببضعة اعوام وتُعرف بكنيسة مار انطونيوس نجد امًّا لان صاحب مكانها يُدعى نجدًا وامَّا لانها قائمة على يفاع من الارض يسميهِ الاهلون «جبال»

٧ً قريبًا من السنة المذكورة انشأ المطران طوبيا الخازن واخوهُ الشيخ كنعان دير القديس انطونيوس في بقعاتا كنعان ووقفا عليهِ املاكًا واسعة وقد ارتقى المطران

المشار اليهِ الى السدة البطريركيّة سنة ١٧٥٦ ومات بطريركاً سنة ١٧٦٩ حسبما ورد في التاريخ

٨ في تلك الفترة بنى الشيخ كنعان بن قيس الخازن المذكور كنيسة القديس عبدا في قريتهِ بقعاتا كنعان ايضاً ووقف عليها شقيقهُ المطران المقدّم ذكرهُ قطعةً كبيرة من املاكهِ الخاصّة بهِ تُعرف في لبنان « بالعودة » وقد وجدتُ ورقةً محفوظة عند الشيخ بطرس كنعان الخازن في القرية المرقومة مسلوخةً من شحيم الكنيسة أُعدم قسم منها مع تاريخها غير ان الامضاء والختم باقيان وهما: المطران طوبيا الخازن مطران قبرص. واليك ما هي في الورقة هذه: « قد وقفنا العودة خاصتنا على كنيستنا مار عبدا اسقف بابل والموضع المذكور حدّهُ من الشمال طريق السالك والقبلة لشوار الشير والشرق الساقية والغرب الى الدرجة ومنها نازلاً لشوار الشير وكان ذلك بحضور اخونا كنعان » ومن هنا الى الختم سطر طويل معدوم قيل لي انهُ كان يتضمَّن تاريخ الكنيسة

٩ نحو سنة ١٧٥٣ بنى اولاد الشيخ ابي خطار فاضل الخازن كنيسة القديس جرجس في قرية بقاعتوتا

١٠ نحو السنة المرقومة او بعدها بقليل بنى المشايخ المذكورون كنيسة القديس ميخائيل في قرية بقاعتوتا ايضاً

١١ سنة ١١٧٦ هجريَّة اي نحو سنة ١٧٦٣ وقف الشيخ عاد بن صخر الخازن دير سيدة البزاز في قرية حارة صخر على ابنتيهِ عادا ومريم واستمرَّ الدير المذكور يحوي النساء العابدات الى يومنا وانَّما سُمّي مكانهُ بالبزاز لان السيدة العذراء عليها السلام صنعت فيهِ على الرأي الشائع كرامات كثيرة بشفاء النساء الطالبات اليها صحة اثديتهنَّ من العلل الطارئة عليها. وسُمّيت القرية بحارة صخر لانها كانت ملكاً للشيخ صخر والد الشيخ عاد واقف هذا الدير

١٢ سنة ١٧٦٥ وقف الشيخ نمر ابن الشيخ ابي ناصيف نوفل الخازن دير النبي الياس في قرية بأونه ملجأً لقاليات العالم من عائلتهِ واسعافاً لمن سيُنكبون من سلالتهِ وحبس عليهِ لهذا القصد املاكاً واسعة ذات مداخيل وافرة تكفي اصلاحاتها وحاجات الدير ويفيض عنها ما يقوم بما شرطهُ في حجة الوقف

١٣ بُعيد هذه السنة انشأ اولاد الشيخ المذكور كنيسة سيدة النجاة في قرية

جميعًا تسهيلًا لشقّة املاكهم فيها ويُعرفون في لبنان « بالشركاء » قضاء واجباتهم الدينيَّة اذ لم يكن احدٌ منهم ساكنًا هذه القرية غير انهم حفظوا لذواتهم ولذريَّتهم حق الولاية عليها كسائر اوقاف عائلتهم الباقية بادارتها

١٤ فيما يقرب من التاريخ المذكور انشأ المشايخ المشار اليهم كنيسة السيدة العذراء في قرية بلونه وهي مركزهم ومسكن سلالتهم الى اليوم

١٥ سنة ١٧٦٧ رقي السيد ميخائيل حرب الخازن الى مقام رئاسة الاساقفة وهو الذي انشأ كنيسة سيدة المعونات في مزرعة رام بودقن

١٦ سنة ١٧٧١ تولى الشيخ رامح بن حيدر بن قيس الخازن مقاطعة جاج وترتّج ولحفد وبنى اولادهُ في المحل المسمى التي من لحفد كنيسة القديس اليشع وبنوا معبدًا في دارهم على اسم القديس ادنا لم اعدهُ كسائر منشآت العائلة وان كان معروفًا لانهُ لا ملك لهُ محبوس عليه وهو خصوصي بسكّان الدار كما افادني بعض العارفين

١٧ سنة ١٧٨١ وقف الشيخ ميلان بن ضرغام الخازن دير سيدة بقلوش وحبس عليه جميع املاكهِ وكل مقتنياتهِ واعدهُ لان يجمع فيه العابدات من عائلتهِ وقبل ان يتمّ عمار كنيستهِ وافاهُ الاجل سنة ١٧٨٢ فاكملها بعدهُ ابن عمهِ الخوري يوسف شرف ابن كسروان الخازن سنة ١٧٨٣ والف فيه العابدات انفاذًا لنيَّة الواقف (١

١٨ سنة ١٧٨٥ وقف الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى في قرية بلونه وبهِ حكمٌ من البطريرك يوسف اسطفان محفوظ عند الشيخ يوسف صقر الخازن مآلهُ تثبيت وصيَّة الواقف بجعل دارهِ « ديرًا غير قانوني لسترة العائلة » ويتبعهُ ما بقي من املاكهِ بعد ان أُعطي ثلثها الى اولاد اخيهِ انفاذًا للوصيَّة شرعيًا والحكم المذكور مؤرخ في ٢٧ نيسان سنة ١٧٨٦ ويتضمَّن تاريخ انشاء الدير الذي هو ١٤ كانون الاول سنة ١٧٨٥

(١ والعائلة تتباحث اليوم بامر جعلهِ مدرسةً مهمَّة يغتنون بها عن الالتجاء الى سائر المدارس تعليمًا لاولادهم وهم يبذلون سنويًّا اموالًا طائلة في هذا السبيل وكلهم عارف ان بحثهم المذكور اذا سُلّم الى همَّة الإجراء ينجم عنهُ فوائد لهم وللبلاد وتهترُّ رفات الشاعر طربًا بصحَّة قولهِ: « بأبيهِ اقتدى » فضلًا عن ان هذا العمل الخطير لا يقتضي منهم نفقة كبيرة واكثر ما ينبغي لهُ موجود يتمكَّنون بهِ من اقامة مدرسة دونها سائر المدارس في هذه البلاد

١٩ نحو سنة ١٧٩٠ بنى المشايخ بنو قانصوه فيّاض الخازن كنيسة السيدة في المحل المسمى عين شقيف في قرية وطى الجوز واتبعوها الاملاك الخاصة بديرهم بقلوش

٢٠ في مبتدإ القرن التابع عشر بعيد سنة ١٨٠٠ بنى المشايخ سلالة ابي قانصوه فيّاض الخازن كنيسة القديس انطونيوس البادوي في مزرعة عين التنور التابعة قرية ميروبا في املاك ديرهم بقلوش اتمامًا لوصية واقفهِ نسيبهم الشيخ ميلان ضرغام الخازن

٢١ قريبًا من التاريخ المذكور بنى المشايخ بنو كسروان الخازن كنيسة السيدة العذراء في قرية النقاش

٢٢ وبعدها بنى المشايخ اولاد ابي ناصيف خازن الخازن كنيسة القديس شليطا في قرية فاريا

٢٣ سنة ١٨٣١ وقفت السيدتان زباره امّ الشيخ بشارة جفال الخازن وبادوانية شقيقته دارهما في زوق ميكائيل وجميع نصيبهما من تركتهِ الواسعة في البلاد ديرًا للراهبات باسم دير البشارة واتبع راهباتهُ قانون زيارة مريم العذراء . اما الشيخ بشارة المشار اليه الذي كان هذا الدير الكبير بيتهُ فانهُ يستحق لان تُنشر ترجمتهُ على الملا لما في سيرتهِ من الحوادث المهمّة التي فيها تُعرف اقدار الرجال وتوهّالهُ لان يُعدّ في جملة عظماء الاقوام وليست شقيقتهُ باقلّ كمالًا منهُ فانهما ماتا ولم يزل الى اليوم ذكرهما حيًّا شريفًا مكرّمًا

٢٤ سنة ١٨٨٧ بنى الشيخ ضاهر بن منصور ابرهيم الخازن معبدًا على اسم القديس الفونس في قرية فاريا وجهّزهُ من مالهِ وحبس عليهِ قطعةً من املاكهِ قيامًا بقداس دائم لاجلهِ

٢٥ سنة ١٨٩٣ انشأ الدكتور الشيخ سجعان بن مارون ابرهيم الخازن كنيسةً على اسم سيدة لورد في قرية ريفون وفيها مدفن ابن عمهِ المرحوم ضاهر السابق الذكر الذي وقف عليها في حياتهِ النفعة فضلًا وصلاحًا قسمًا من املاكهِ يكفي لدوام كفايتها مقتضياتها ونفقة كاهن يقدّم فيها دائمًا الذبيحة الالهيَّة عن روحهِ

٢٦ سنة ١٨٩٧ اتمّ الكونت حصن الخازن والمونسنيور يوسف شرف الخازن بناء كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية درعون وجهّزاها من مالهما وكان البادئ بتأسيسها سنة ١٧٥٢ الشيخ نوفل الخازن رابع قناصل دولة فرنسة من هذه العائلة في

بيروت ومات سنة ١٧٥٣ قبل ان يرتفع البناء عن اركانها وتُركت هكذا الى ان تمَّ انشاؤها في السنة المذكورة

٢٧ً في مزرعة عين الريحانة فوق عين طررا كنيسة على اسم سيدة البشارة في ملك الشيخ يوسف عباس شيبان الخازن ابتدأ ببنائها الخوري طوبيا الخازن منذ نحو ٤٠ سنة ولم تزل غير متمَّمة الى اليوم (١

وللعائلة الخازنيَّة اوقاف خاصَّة غير المذكورة في هذه النبذة منها قديمة ومنها حديثة لم اذكرها هنا اولا لان اكثرها غير تابع اماكن جامعة كالاديار والكنائس التي التزمتُ

---

١) سنة ١٦٨١ في ١٥ ايار كان تكريس دير القديسين سركيس وباخوس في قرية ريفون كما جاء في الحجَّة المحفوظة بخط الشيخ ابي نانصوه فيَّاض ابن ابي نوفل الخازن وهي مذيَّلة بامضائهِ وختمهِ وبها يحفظ الولاية على الدير لذاتهِ ولابكار سلالتهِ من بعدهِ وقد حكم لعائلتنا مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ واثبت احكامهُ الجمع المقدس في ٢٥ آذار سنة ١٨١٩ ثم اثبتها البابا بيوس السابع ببراءتهِ المؤرخة في ٢٥ ايار سنة ١٨١٩ — وبعد ذلك اختصمت عائلتا الخازن ومبارك على هذا الدير فحكم للثانية به السيد يوحنَّا بطرس لوزانا القاصد الرسولي باعلام منهُ مؤرخ في ١٢ اب سنة ١٨٣٣ مذيَّل بامضائهِ وختمهِ ومفهومهُ نصُّ كتاب ورد اليهِ جواباً من رئيس الجمع المقدس بهذا الشان — ولم يزل الدير بولاية هذه العائلة وما برحت دعواهُ في مراجعها ولهذا لم اعدَّهُ هنا في جملة الاوقاف المار تفصيلها بل ذكرتهُ منفرداً في ذيل هذه الرسالة

ومثلهُ دير القديس روحانا في المحل المسمى البقيمة في قرية عرامون والمشهور ان بانيه المطران جرمانوس الخازن ابن الشيخ رامح بن حيدر الخازن. ولاولاد الشيخ كنعان عبود الخازن حجج واوراق اودعوها الكرسي البطريركي الماروني تثبت ولايتهم الارثيَّة على هذا الدير ولديهم ايضاً رسائل كثيرة من المطران سمعان زوين تشهد بما تقدَّم.— وقد تولاَّهُ بعد المطران جرمانوس المذكور البطريرك طوبياً الخازن مذ كان قساً وقد مرَّ ذكرهُ في هذه المقالة — وبين المشايخ المذكورين وعائلة زوين متولية الدير دعوى قديمة عليه لم تزل في مراجعها (*

اقول وعائلتا مبارك وزوين المنوَّه بها من العيال ذات الايادي الجميلة على الطائفة ويفتخر ماضيها وحاضرها بمن قام منهما من الاحبار الاجلاء في عالم رئاستها و بمن فيها اليوم من الكهنة الافاضل الغيُر ذوي المآثر الجليلة والصفات الممتازة تقىً وعلماً وادباً وكفى بها فضلاً ان الاولى منهما جعلت الدير المذكور في ريفون مدرسةً بطريركيَّة لفائدة الملَّة في الدين والثانية اقامت على الهمَّة بانجاح مدرستها في غزير وفيها مصلحة للطائفة في الدنيا

---

*) وقد قرأنا في اعمال مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ انَّ الاباء قد حكموا لعائلة زوين المتبرِّة بحقوق التولّي على دير مار روحانا المذكور وبلغنا ان الجمع المقدس اثبت هذا الحكم عن يد القاصد الرسولي لودوفيكوس پياني. وقرأنا ايضاً مثل ذلك بخصوص دير ريفون (المشرق)

ذكرها دون ما يتبعها فرارًا من التطويل. ثانيًا لانها ليست موقوفة على البرّ. ثالثًا لانها محبوسة العين فقط ويتصرَّف ذريَّة الواقفين وورثتهم بمنفعتها تبعًا لشريعة الارث ولا تنصرف الى الخير المؤبد الَّا بعد انقطاع كل ذي حق شرعي بها. رابعًا لان بعضها ولئن كان وقفًا خيريًا نافذًا الَّا انهُ تابع بعض الاماكن التي عددتها

فيكون مجموع اوقاف العائلة الخازنية على ذاتها ٢٧ مقامًا منها ٦ اديار و٢١ كنيسة هذه هي الاماكن التي خصّصت بها ذاتها العائلة الخازنية ولم اذكر معها الاملاك الموقوفة عليها لانها كثيرة تقتضي بحثًا طويلًا ساعود اليه عند الاماكن

فينتج مما تقدَّم ان العائلة الخازنيَّة تتمكَّن من تحويل هذه الاوقاف او بعضها الى محلّ آخر ذي خير اعظم وفائدة كبرى بدون ان تخالف بذلك نيَّة الواقفين كاقامة الملاجئ وفقها الله مع كل مفيد وصالح

الاجسام المشعّة وعنصر الراديوم

للاب ر. ش. اليسوعي

في اواسط سنة ١٨٧٤ كان المعلم كروكس (Crookes) اجاز في انبوبة مفرغة من الهواء مجرى كهربائيًا من ملفّ رومكورف فرأى الانبوب مضيئًا بنور الكهرباء. ثمَّ لحظ انَّ من القطب السالب او الراتينجي تشعُّ ضياء مستقيمة الاشعَّة تمسّ الاجساد كالزجاج مثلًا وتجعلها مشعَّة فدُعيت هذه الاشعة كاثوديَّة نسبةً الى القطب السالب المعروف بالكاثود (cathode). واكتشف الطبيعي لينرد (Lénard) ان هذه الاشعة الكاثوديَّة تنفذ في صفيحة من معدن الالومينيوم

ولمَّا كانت السنة ١٨٩٦ ارشد الله الدكتور رُنتجن استاذ الطبيعيَّات في كليَّة ڤرسبورغ الى اكتشاف اعظم واهمّ من السابق فانَّهُ عمد الى زجاجة كروكس ولفَّها بورق اسود وجعلها على صفيحة مهيَّأة للتصوير الفوتوغرافي فوجد ان الاشعة الكاثوديَّة صنعت ما لم تصنعهُ اشعَّة الشمس اي انها نفذت وراء الورق الاسود واثَّرت في الصفيحة الفوتوغرافيَّة. فواصل رنتجن اختباراته فتحقق انَّ هذه الاشعة التي دعاها الاشعة المجهولة

(rayons x) تنفذ في الاجسام المُصمتة كالخشب والكتب الضخمة واللحم لكنها لم تنفذ في العظام والمعادن ولذلك تمكّن من رسم صورة عظام اليد في وسط لحمها وصورة المعادن في خزائنها والرصاص او الابر النافذة في جسم الانسان الخ . فكان لهذا الاكتشاف دويّ عظيم في عالم العلم وما لبثت هذه الاشعة ان دخلت في طور العمل فالتجأ اليها خصوصاً ارباب الطب والجراحة فنالوا بواسطتها ما لم تبلغ اليه آمالهم السابقة

*

لكنَّ هذا الاكتشاف لم يكن الَّا توطئةً لاكتشافات اخرى عجيبة اورثها القرن التاسع عشر خلَفهُ القرن العشرين نعني بذلك اكتشاف الاجسام المشعَّة نخصُّ منها بالذكر عنصر الراديوم

قلنا ان الاشعة الكاثوديَّة اذا مسَّت الزجاجة اضاءتها وجعلتها مشعَّةً . لكن هنا مشكلاً أيا تُرى هل يكون مصدر هذه الاشعَّة من الكهرباء او من الزجاج المُشعّ . فبحث العلماء عن ذلك منهم الفرنسوي بوانكاره (Poincaré) فادَّت به ابحاثهُ الى ان تحقق صدور اشعَّة رنتجن من الزجاج نفسه وذلك عند صيرورته مشعّاً

ولكن اذا صحَّ ذلك ألا يمكن القول بانَّ الاجسام المشعَّة تبعث اشعــةً كاثوديَّة كاشفةً رنتجن مهما كان مصدر تشعشعها سواء صدر من الكهرباء او من عناصرها الخاصَّة

فاخذ المسيو بكريل (H. Becquerel) احد اعضاء المكتب العلمي في باريس يكرّر الاختبارات في ذلك حتى هداهُ الله الى الاطّلاع على حقيقة الامر في ٢٤ شباط من سنة ١٨٩٦ فاكتشف انَّ هذا التشعشع يتمُّ دون توسّط مصدر منير تضيءُ به هذه الاجسام . وهاك بيان الامر

كان المسيو بكريل غلّف صفيحة فوتوغرافيَّة مهيَّأة بالجلاتين والبرومور بغلافين سميكين من الورق الاسود ثم جعل فوقهما صفيحةً اخرى من البلّور المركَّب من مزيج الكبريت والاورانيوم والبوتاسيوم ثمَّ عرض ذلك لنور الشمس مدَّةً بضع ساعات . فلمَّا اخرج الصفيحة الفوتوغرافية وجدها متأثرة باشعَّة المزيج الذي كان نفذ الغلافين . فجدَّد الاختبار ووضع بدلًا من الورق الاسود صفائح معدنيَّة رقيقة من الالومينيوم او

النحاس فحصلت النتيجة ذاتها فان اشعَّة المزيج كانت خرقت هذه الحواجز وأثَّرت في الصفيحة الفوتغرافيَّة

وبعد ايَّام قلائل كان المسيو بكريل يريد تكرار هذه الامتحانات فاعدَّ الجهاز الفوتغرافي على الصورة السابقة ليعرضهُ في وجه الشمس وهو يظنّ انَّ سلفات الالومينيوم يحتاج الى نورها ليصير مشعًّا فترتسم الصور بهذه الواسطة في الصفيحة الفوتغرافية. لكن الشمس كانت في ذلك اليوم محجوبة في باريس بغيوم كثيفة وبقيت على ذلك ثلاثة ايَّام فلم يمكن المسيو بكريل ان يعرض جهازهُ للنور فابقاهُ في خزانة مظلمة. فلمَّا عيل صبرهُ لعدم بزوغ الشمس اخذ الصفيحة الفوتوغرافية فاظهرها على الطريقة المعلومة لعلَّهُ يجد فيها تأثيرًا ضعيفًا فما اعظم ما كان اندهالهُ اذ رأى الصورة مرسومةً على الصفيحة رسمًا بليغًا فتحقق انَّ التشعُّع يأتي بعمله دون نور الشمس بل في الظلمة التامَّة. فدعا هذه الاشعَّة الاورانية (rayons uraniques) ودعاها غيرهُ باشعة بكريل. فاسرع المكتشف وقابل بين خواصها وخواص اشعة رنتجن فوجدها شبيهة بها من وجوه عديدة لاسيما بخاصيَّتها المفرزة لها بان تُفرغ الاجسام المكهربة من كهربائيَّتها. فان المسيو بكريل جعل قرب آلة الالكتروسكوب بعد تعبية صفيحتيهِ الذهبيَّتين بالكهرباء قطعةً من ملح الاورانيوم فما لبثت الصفيحتان بعد ثلاث ساعات ان فقدتا كهربائيَّتهما مع انَّهما عادةً تحفظان هذه الكهربائية مدَّة اشهر متوالية. لكنهُ وجد اختلافًا بين اشعَّته واشعة رنتجن بحيث تمكَّن بها ان يخرق بعض المعادن كالنحاس والبلاتين وهذا ممَّا لم ينلهُ رنتجن باشعته. ثمَّ انهُ تحقق انَّ الاورانيوم سواءٌ جُعل متشعشعًا او لم يُجعل يشعُّ بنفسه فتنفذ اشعَّتهُ وراء الاجسام الصلبة. وهـذا يصحُّ في الاورانيوم الخالص وفي مركَّباته الملحيَّة. لكن للاورانيوم الخالص قوَّةً اعظم من هذه المركَّبات

والاورانيوم المذكور احد العناصر الركنيَّة التي لم تُعرف خواصها الَّا من سنين قليلة واول ما عُرف منهُ مركَّبهُ اكسيد الاورانيوم او البكلَند (pechblende) يعدّنهُ اهل بوهيمية من اعمال النمسا. وقد قوي المسيو موسّان من استخلاصه محضًا صرفًا منذ ست سنوات فقط. فامكن المسيو بكريل ان يتخذ منهُ قرصًا معدنيًّا خالصًا جعلهُ موضوع اختباراته فاستدلَّ على ان مصدر التشعشع هو في نفس المعدن لا يفقد من قوَّته بطول الزمن الَّا ما لا يُعبأ به. وحتى الآن ترى فعلهُ في الاجسام الصلبة كما كانت قبل ست

سنوات. امَّا كُنه هذه الاشعة الغريبة فلم يزل العلماء يجهلونهُ كما جهلوا اشعَّة رنتجن فدعوها لذلك الاشعَّة المجهولة

*

لم يمرّ على هذا الاكتشاف العجيب سنتان حتى افاد المسيو شميت (G. C. Schmidt) جمعيَّةَ العلوم الطبيعيَّة في برلين انَّ معدنًا آخر غير الاورانيوم قد خصَّهُ الله بمثل خواصهِ من حيث قوَّتهِ المشعشعة وهو عنصر التوريوم (thorium) الذي منهُ يتخذ أَوَر (Auer) غلافةُ المتشعشع لصباحهِ المعروف باسمهِ (bec Auer). وهذه القوَّة تلوح في التوريوم وفي مركَّباتهِ ايضًا

واعجب من هذين المعدنين اكتشاف معدن ثالث خُصَّ مثلهما بخواصّ شبيهة باشعَّة رنتجن غير ان قوَّة نورهِ النافذه تفوقهما فواقًا عظيمًا نريد معدن الراديوم. والفضل في ذلك لاحد العلماء الفرنسيين المسيو كوري (Curie) ولقرينتهِ سكلودُفسكا البولونيَّة الاصل فانهما بعد ان وقفا على اعمال المسيو بكريل عمدا الى المعادن النادرة كالناليوم والجرمانيوم والتوريوم والنيوبيوم والروبيديوم وعناصر اخرى عديدة منها البولونيوم الذي اكتشفاهُ سابقًا لعلهما يجدان في هذه الاركان خواص الاشعَّة الاورانيَّة فلم يخب رجاؤهما ووجدا لبعض هذه المعادن وخصوصًا للبولونيوم قوَّة مشعَّة كالاورانيوم الَّا انَّ قدرها يختلف باختلاف الاجسام. وكذلك عرفا للتوريوم خواصَّهُ كالمسيو شميت دون ان يعلما بالاختبارات التي اجراها هذا الاستاذ قبلهما بشهرين فقط

لكنَّ الاكتشاف العظيم الذي وفَّق الله اليهِ المسيو كوري وحليلتهُ هو افرازهما للراديوم. وذلك انهما اتخذا بعض مركَّبات الاورانيوم فوجدا لها قوَّة مشعَّة غريبة حملتهما على ان ينسباها الى عنصر آخر يختلف عن عنصر الاورانيوم. وظهر لهما ذلك خصوصًا في البكبلند الذي يُستخرج من بلدتي جوهَنجُرجنستات ويواكيمستات في بوهيمية. فجعلا يحلّلان هذا المركَّب رجاء ان يكتشفا في تركيبهِ معدنًا مجهولًا يكون هو مصدر هذه القوَّة المشعَّة فاستعانا بالطيف الشمسيّ والحلّلات الكيمويَّة القويَّة وضروب التصفية ولم يزالا في جدّ وكدّ دون ان يثني عزمهما ملل حتى كلَّل النجاح مساعيهما واستخلصا بعد الجهد الجهيد من احمال ضخمة من البكبلند كميَّةً صغرى من معدن لا يزال ممزوجًا بالباريوم او بالكلور لكنَّهُ يختلف عنهما دعاهُ

المكتشفان راديوم (اي الشعاع) وهو اسم يطابق مسمّاهُ مطابقة تامّة كما سترى

للراديوم خواص طبيعيّة وكياويّة تحيّر العقل وتأخذ بمجامع الفهم . اولها ان قوتهُ المشعّة تربي على قوّة الاورانيوم بنحو ١٠٠,٠٠٠ مرّة . وشعاعهُ ينفذ في الجوّ فيعمل على مسافة متر وازيد . واذا وقع على جسم صلب اخترقهُ . وان جُعل فوق صفيحة فوتوغرافيّة أثّر فيها في ٣٠ ثانية تأثيراً لم يُنل بالاورانيوم والتوريوم ببضعة ايام . وكذلك اذا جاور الراديوم بعض الاجسام جعلها مشعّة كما تفعل اشعة رنتجن في الزجاج

واغرب من ذلك ان الراديوم اذا شعّ انار دقائق عنصره فجعلها مشعّة بذاتها ليس كالمواد الفسفوريّة التي ينبعث الشعاع من سطحها كأنها تعكس الضياء التي اختزنتها سابقاً امّا الراديوم فكل دقائقهِ مضيئة منيرة بنفسها تسطع بسطوع بعضها كأنها جمرة النار المتّقدة

واذا اخذت ملحاً مركّباً من الراديوم وكلورور الباريوم او برومور الباريوم ومنعت عنهُ تأثير الرطوبة ثم جعلتهُ في انبوب محكم السدّ وجدت ان هذا المركّب يضيء في الظلمة بنورٍ لامع كافٍ لقراءة المطبوعات بل يظهر هذا النور في ضوء النهار اذا كان ضعيفاً ولا يغلبهُ الّا نور الشمس

وممّا يزيد المعتبرين عجباً ان هذه الانوار تشعر بها العين المطبقة وذلك ان تجعل الانسان في الظلمة مطبقاً جفنيهِ فاذا قرّبت منهُ امّا بازاء العين وامّا على صدغهِ احد مركّبات الراديوم شعرت العين بضوءٍ غريب وان ذلك الّا اشعّة هذه العناصر تنفذ في اللحم والعظم فتجعل رطوبة العين مشعّة وهذا التشعشع يحسّ بهِ النظر

وللنور هذه الاجسام قوّة هائلة ومفاعيل مضرّة لم يتداركها المختبر . فان المسيو بكريل كان جعل في جيب صدرتهِ انبوباً مختوماً فيهِ شيء قليل من مركّب الراديوم وكان الانبوب ملفوفاً وموضوعاً في علبة من المقوّى (كرتون) فبقي في جيبهِ نحو ست ساعات باوقات غير متواصلة . فنفذت هذه الاشعّة الى صدرهِ وحصل على الجلد بعد عشرة ايام احمرار عقبهُ جرح بليغ لم يبرأ تماماً بعد شهر من العلاج

ومن مفاعيل الراديوم انهُ يؤثر في بعض الاجسام فيغيّر خواصها من ذلك انهُ يغيّر الفسفور الابيض الى فسفور احمر ولكلّ منهما كما لا يخفى خواص مختلفة

ومنها ايضاً انهُ يعمل في اوكسيجين الهواء ويبدلهُ بالاوزون بوقت قليل وهذا من

اعظم الفاعيل الكيموية التي لم يتصل اليها العلماء الّا بالعوامل الشديدة القوة وكذلك يؤثر الراديوم في الزجاج والاواني الصينية فيحلّها. وقد لحظ المسيو بكريل مؤخرًا ان جوار الراديوم وحده يكفي لتحليل بعض الاجسام كالحامض اليوديك او الازوتيك وتغيير الفسفور. ومن اختباراته انهُ القى هذه الانوار على البذور فصارت بعد ايام قليلة عقيمة لا تأتي بثمر

ومما يجدر بالملاحظة انّ المغناطيس اذا أثّر بالفرك عمل في اشعّة الراديوم وهو لا يعمل باشعة الشمس. فاذا ادنيت قطعة من المغناطيس الى الراديوم رأيت اشعّته تنحرف عن خطّها المستقيم فتلتوي منتشرة ذات اليمين وذات الشمال على مثال الريح الشديدة التي تميل بالمطر عن سواء خطّه فتدفعهُ الى جهات شتى. لكنّ هذا الانحراف لا يجري سوى في قسم من هذه الاشعّة وهي الاشعّة البعيدة المدى الشديدة الفعل اما الضعيفة منها القليلة الانتشار فلا عمل للمغناطيس فيها بل يتضعها الهواء قريبًا من مصدرها فتحجب عن العيان بخلاف الاشعة الشديدة التي لا تتضعضع في الهواء الّا على مسافة بعيدة

ومنذ عهد قريب في غرّة سنة ١٩٠٠ وجد المسيو كوري وقرينتهُ خاصّة اخرى للراديوم وهو انهُ يكهرب الاجسام التي تصيبها اشعّتهُ. وقد اختبرا ذلك في قفص من الزجاج أُفرغ هواؤهُ فانفذا اشعّة الراديوم في البارافين (paraffine) ومنها الى صفيحة معدنيّة فلحظا ان المعدن تكهرب بالكهرباء السلبيّة دون ان تتكهرب البارافين. وكان المسيو بارين (Perrin) قد اثبت لاشعّة رنتجن مثل هذا العمل سنة ١٨٩٧ فظهر انّ من هذا القبيل ايضًا تشابهًا بين الاشعّة الكاثوديّة واشعّة الراديوم وهي نتيجة غاية في الاهميّة نبّهت العلماء الى امر جهلوهُ سابقًا وهو انتقال دقائق النور في وسط الحواجز التي تحول دونها الى اجسام اخرى تؤثر فيها بقوّتها وذلك مما يبيّن انّ انتشار نور هذه الاجسام ليس هو فقط كالامواج المتدفقة من المصدر المنير في الجوّ والعناصر المشعّة لكنهُ ايضًا انبعاث شيء من هذه الدقائق المنيرة التي تخرج من الجسم فتنتقل الى اجسام أُخرى بعيدة. وهذا الاكتشاف من شأنه ان يحقّق قول العلّامة نيوتن في كيفيّة انتشار النور وكان العلماء حتى الآن اهملوهُ وارتأوا انّ النور ينتشر كتموّجات مضيئة وسط الهواء كما يتموّج الصوت اذا صدر من فم الناطق او كما ترى دوائر الماء اذا ألقيت فيه حجرًا

ولكن اذا ثبت ذلك اعني انّ دقائق الراديوم تصدر منهُ لتنتقل في الجو الى اجسام

أخرى تُضنيها أفلا تفنى هذه الدقائق والعنصر الذي منهُ تنبعث ؟ هذا سؤال اجاب عنهُ المسيو كوري والمسيو بكريل فانهما بعد الاختبارات المتعددة وجدا ان دقائق الراديوم المنبعثة منهُ تُنقص حقيقةً جرمَهُ لكنَّ هذا النقصان لا يُكترث لهُ فانَّ ما يذهب منهُ بانتشار دقائقهِ لا يتجاوز الدسيغرام في الف الف سنة اعني انهُ يفقد في هذه القرون العديدة ما لا يربي على كبر حبَّة القمح

فترى مما تقدَّم ما في وجود الاجسام المشعَّة عموماً والراديوم خصوصاً من العجائب التي تدهش العقول وتفتن الالباب. وكل هذه الاكتشافات قد ظهرت في كمية صغرى من مركَّب الراديوم فاذا ما تمكَّن العلماء من استخلاص قدر كبير منهُ وافرازهِ من هذه المركَّبات لا ريب في انهم يجدون ما هو اعظم من ذلك ويُجلون الحقيقة عن عدَّة امور مكنونة فيميطون عنها الاستار التي حجبتها حتى الآن. فيا ليت شعري كيف ينكر الملحدون بعد ذلك وجود الخالق ويعمون بصائرهم دون نظر اعمالهِ. افلا يسوغ تكرار قول الشاعر:

فيا عجباً كيف يعصي الالـهَ ام كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ تدلُّ على انهُ الواحدُ
وللهِ في كلِّ تحريكةٍ وتسكينةٍ في الورى شاهدُ (١

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

فلمَّا دخلت راحيل الى الكنيسة السابق ذكرها سارت بتقدم مرتجفة الى ناحية الدرابزين لعلها متى قربت من بيت القربان تصل شكواها باوفر سرعة الى مسامع العليّ. وهناك خرَّت على ركبتيها وبعد ان صلَّت مدة بدموع حارة رفعت عينيها فشاهدت

١) قد اخذنا كثيراً من هذه الفوائد من مقالات المسيو بكريل والمسيو كوري المثبتة في الكتاب المعنون Rapports présentés au Congrés international de Physique réuni à Paris en 1900 (T. III, 47-115). وراجع ايضاً في مجلة الابحاث مقالةً حسنة للاب يوسف دي جوانّيس اليسوعي Etudes, 5 *Janvier* 1902, pp. 96-121

على الدرابزين صورةً تمثـل نزاع السيد المخلص في بستان الزيتون وذراعاهُ مبسوطتان ووجههُ كئيب وعيناهُ مرتفعتان الى العلى وكانت الصورة صُنع مصوّر ماهر فتخيَّلت راحيل حالما وقع بصرها عليها ان المخلص يتلفَّظ بهـذه الكلمات:« الهي الهي لماذا تركتني » فاخذت هي تهتف وتقول:

الهي لماذا تركتني ? الهي لماذا سمحت للمحبة ان تعظم في قلبي مع معرفتك بانها ستصير لي آلة عذاب وألم ?... مولاي اني لا افهم ولا اعقـل وانّي لخليقة حقيرة نظيري ان تحكم على عنايتك المسجود لها. ولكن اسألك ان تشفق على ضعفي. اشفق ايضاً على زين زوجي الذي لا ازال احبُّهُ.. ارثِ لانفراد قلبينا... واذا اردتَ فانت قادر على كل شيء. ...

وكانت العتمة تزيد كثافةً في الكنيسة ولم يكن سوى الصدى من مجيب لشكوى تلك القرينة المصابة التي اخذت بعد ذلك تتوسَّل الى ربها قائلة:

« ألا تجاوبني يا ربي ? كلاَّ انهُ لمن المحال ان تستعمل قدرتك لتعذيب خلائقك لانك قد احتملت العذاب من اجل الكل.. الهي دع بوارق الامل تومض في سمائي. الهي كما كان الاعلاَّء ينطرحون على قدميك في ايَّام حياتك الطبيعيَّة طالبـين منك البرء والشفاء هكذا انا ايضاً اتقدَّم اليك منسحقةً ذليلةً. لست انا شيئاً وانت كل شيء. أما انت القائل:« تعالوا اليَّ جميعاً ايها المتعبون وانا أُريحكم » فانا بالاعتماد على كلامك قد جئت منطرحةً في هيكلك... وانت فاحص القلوب تعلم كم أُقاسي من العذاب وتعرف ان قلبي الذليل بريء من الارجاس التي لاجلها يكابد... كانت والدتي في ايام طفوليَّتي تعلّمني ان اضمَّ يديَّ الصغيرتين امامك وتقول لي انك « رب رؤوف رحيم » وهذا اول وصف عرفتك بهِ وهو الكمال الوحيد الذي اريد ان اعلمهُ منك... رُحماك رُحماك... أجبني يا الهي...»

غير ان السيد المسيح ابى في تلك الساعة ان يخفض بصرهُ حنوًّا على الخليقة الضعيفة المنحنية عند قدميهِ. وتلك الصورة الفاقدة الحس المتعودة من ادهار واجيالٍ مشاهدة احزان البشر واوجاعهم سمعت صراخ راحيل الذي انطقها بهِ عظم شقائها فلم تتحرَّك بالشفقة عليها

ولكن يا تُرى هل كفَّ المسيح عن ان يكون هو المسيح. وهل غشَّنا الانجيل لمَّا

مثّل الخاص باكيًا مع الحزانى متشفقًا على الجوع ومشاركًا احباءه في اوجاعهم. لا لعمري لكنّ الساعة لم تأتِ بعد لنجاتها فعند ذلك هتفت تلك المسكينة صارخةً باعلى صوتها:

لقد انكسر قلبي يا ربي والهي فلماذا لا تجاوبني؟

وكانت الظلمة والوحشة تزيدان في الكنيسة وما كانت راحيل تسمع فيها غير صدى تنهداتها مع زفير خفيف من المصابيح الموقدة امام الهيكل فخرجت كئيبة يئسة دون ان تسمع كلمة تعزيها في مصابها او تُشمر بالشفقة على شقائها. ومع انها كانت قد وعدت الحبيس بان تعود اليه في آخر الشهر لتخبرهُ عن حالها استقرّت في مكانها وكانت تقول في نفسها: ماذا يجديني السفر الى الحبيس وقد اهملني الخالق اهمالًا نهائيًا. ولذلك خالجها الريب في كل شيء. وعدمت ما كان لها من الثقة في الله تعالى وفي الاب يوحنا... وكثيرًا ما كانت تتوهّم ان الحبيس استهزأ بها فسلّاها بتسلية باطلة. وعلى ذلك فكان وجعها عظيمًا وشعورها بان الله والناس اهملوها كان يزيدهُ شدّةً والمًا.

وكان زين قد سافر بغتةً الى بشرّاي قائلًا ان غيبتهُ عن البترون تطول عدّة اسابيع. وكان قبل ذلك بمدّةٍ قد اخذ يُكثر من الاسفار ويستثقل الاقامة في البترون بمُعشرة قرينته. وكان اقل الاسباب يحملهُ على السفر فتارةً كان يخرج للصيد وحينًا لزيارة بعض المقدّمين رصفائهِ وآخر لتفقد املاكهِ واراضيهِ. وكان في اكثر اسفارهِ يستصحب موسى خادم راحيل ويظهر لهُ ثقة غير اعتيادية. ولمعرفتهِ بمحبة الخادم المذكور للاب يوحنا كان كثيرًا ما يحدّثهُ عنهُ وبهذه الوسيلة علم منهُ ان الاب المذكور محبوس في جزيرة بحيرة قدس. وفي احدى المرات اتفق لموسى على غير انتباه ان اخبر مولاه بزيارتهِ للحبيس السابق ذكرهُ. امّا زين فتظاهر بعدم الانتباه للخبر ولكنهُ اضمر انهُ سيعود مرّة اخرى لمحادثتهِ في هذا الامر

وكان الاضطراب والقلق قد بدأا في مخالجة هذه النفس الشريفة التي ضلّت حينًا في سبيل محبة اصبحت الآن تحمرّ منها خجلًا. وهكذا اخذ زين يلوم نفسهُ على سابق سلوكهِ الملتوي مع قرينتهِ. ولرغبتهِ في التخلّص من تبكيت الضمير كان يطلب وجوهًا للتسلية مبتعدًا عن البترون حتى لا تتجدّد اسباب التوبيخ الباطن بدوام مشاهدتهِ لتلك

القرينة الصالحة وعلى ذلك فقد كان يقاسي امرّ العذاب في داخله ولو انهُ كان يجتهد كل الاجتهاد في ابعاد الافكار المقلقة عن حاله

كذلك حنة تلك الصبيّة النقيّة والخالية من الغش اخذت هي ايضاً تفتح عينيها وتنتبه لما يجري حولها من الحوادث. فقد كانت حتى هـذا الوقت تقبل من صهرها البشاشة والاكرام والمؤانسة بكل سلامة ضمير ولم تكن ترى في شيء من ذلك شرّاً. ومن كانت نيّاتهُ قويمة لا يرى سبباً لاساءة الظن في نيّات الغير . وقصارى القول ان هذه الابنة الطاهرة كانت من السن في اضيق مدّاته واحوجها تنظر الى المستقبل بثقةٍ ورجاء كأنّ المستقبل بيدها ويحملها خلوّها من التجربة والاختبار على ان تأتي احياناً ما يخالف الفطنة والحكمة. وبالنظر الى اطمئنان ضميرها وغبطة باطنها كانت تتعجّب ممّا تشاهد حولها من اسباب الارتعاج والضيق وممّا تقف عليـه عند كل خطوةٍ من الاحزان والاكدار التي لم تكن تعرف لها علّة

وفي ذات يوم دخلت بغتةً على شقيقتها فرأتها تبكي بدموع سخينة وتضمّ طفلها الى صدرها وتقبّـلهُ بحنوّ وانعطاف والدي وهي تقول: « يا كنزي ويا عزائي الوحيد عند ما يهملني ابوك ! ايها الملاك التي ليس في وسعك ان تعلم بمـا تقاسي امك من العذاب ! »

فتأثرت حنة شفقةً على اختها واستفهمتهـا عن اسباب حزنها. وكانت راحيل قد اوشكت ان تبوح بسرّها وتعترف بانها غَيْرى. وممّن ؟ من شقيقتها. . . وقالت في ذاتها: ماذا يجديها قهر النفس والاصرار على الكتمان بعد ان سألتها هذه الشقيقة ؟ أما يحقّ لها بل يجب عليها ان تجاوبها وتنبهـا الى خطانها ؟ ولكن اين تذهب وُعودها للاب يوحنا ؟ وهل تقدر ان تبوح بشيء يُنزل الغمّ الشديد بل الموت بعينهِ على قلب شقيقةٍ تعرف هي سلامة سريرتها وطهارة ضميرها ؟

على انّ من كانت طباعهُ كطباع راحيل قد تشرّبت حزماً ودرايةً يكون طرح هذه الاسئلة عليه بمنزلة حلّ مبرم. ومن ثمّ كتمت ما في نفسها واجابت جواباً مبهماً ولكنهُ مع غموضهِ ايقظ انتباه شقيقتها. فشعرت هذه كأنّ حجاباً كثيفاً قد تمزّق عن بصرها وعلمت ان اختها صارت منزعجةً من وجودها وغائرةً منها فقلقت لهذا الامر جدّاً ولامت نفسها كل اللوم على كونهـا صارت سبباً للنكد في البيت الذي اضافها وعلّة

لشقاء شقيقة تحبها كثيرًا فعزمت ان تزايل البترون في اقرب فرصة تتسنّى لها

وفي تلك الاثناء كان اخوها الارشيدياقون موسى قد عاد الى طرابلس من سفره الى رومية فكانت عودتهُ حجّةً اتخذتها للسفر

غير انها ما كادت تبارح البترون حتى شعرت راحيل بسأم الانفراد فعزمت على ان تغتنم الوقت لزيارة حبيس بحيرة قدس مرةً اخيرة. ولم تكن تقصد من هذه الزيارة ان تسألهُ نصحًا او مشورةً بل ان تودعهُ الوداع الاخير لانهـا كانت موقنةً بان ليس لشفائها من علاج

٢١

وفي ذات يوم اشتدَّ حرّهُ بينما كانت الشمس دانيةً من الغياب خلف جبال النصيريّة بدأت الغيوم الدكناء تتراكم في الجوّ متكاثفةً وكان بين وقت وآخر يومض البرق وتُسمع زماجر الرعود من بعيد. وكانت الزوبعة قد تفجّرت وتنذر على ظهر الجبال المقابلة للبحر واخذت تمتدّ حتى ادركت في وقت قريب ناحية حمص. وبينما كانت الرياح الشديدة في وادي النهر الكبير تثير مياه البحيرة حتى قرارها وتصدم الامواج الهائجة مكسّرةً اياها على السدّ والجزيرة شوهد قارب يسير فوق الماء مغالبًا بمشقّة تلك الامواج المتلاطمة. وكان سطح البحيرة اذ ذاك عبارة عن مساحة فسيحة قد ابيضّت كلها من الزوبعة ورشاش الماء وذاك القارب الضعيف في وسطها اشبه بنقطة سوداء ترقص على رؤوس الامواج

وكان اثنان من النوتية يتوليان هذه المرّة قيادة القارب لان موسى الخادم صرّح بانهُ لا يستطيع وحدهُ تغلّبًا على الامواج ولهذا لمّا وصل الى قرية قطينة الكائنة بقرب البحيرة ضمّ اليه رفيقًا آخر بعد استئذان مولاته والتأكيد لها بان المذكور من اهل الثقة والامانة

وكان كل من النوتيّين قد لفّ رأسهُ بكوفية والقى على كتفيهِ عباءة لتقيهُ من الريح ورشاش الامواج وشمّر على ذراعهِ واقبل على سَوق القارب بالمجاديف بهمّة ونشاط. وكان الموج الهائج في بعض الاوقات يشتدُّ كثيرًا حتى يوشك ان يُغرق القارب الضعيف مع اولئك الثلاثة الذين حملتهم الجرأة على ركوبهِ

الّا انهم في آخر الامر ذلّلوا كل صعوبة اعترضتهم وانتهوا الى الجزيرة وارادوا ان

يربطوا القارب بالشاطئ فما استطاعوا نظرًا لشدة الزوبعة فحينئذٍ بقي موسى في القارب لاجل حراستهِ وترلت راحيل مع النوتي الآخر فطلما الى الذروة التي عليها كان الاب يوحنا قد نصب كوخهُ

وكان الحبيس قد لحهما من بعيد فاقام ينتظرهما في منزلهِ الحقير الذي كان مُنارًا بنور ضعيف مصفرّ يختلط مع الدخان والشومار . غير انَّ راحيل كانت قد تغيَّرت كل التغيُّر بحيث يصحّ القول انها صارت غير ما كانت عليهِ يوم وطئت قدمُها لاول مرَّة ارض الجزيرة لان ذلك الوجه الناضر انقلب ممتعًا شاحبًا وتانك الشفتان قد تقلَّصتا من طول مدَّة النكد واحتقان الغضب وشهوة التشفي والانتقام وتلك النار اي نار الحياة التي كانت تجول ملتهبةً في وجنتيها وشفتيها قد انطفأت خامدةً واي خمود . ولكنها مع هذا كلهِ زادت عيناها اتقادًا واشتعالًا فكانت ترسل نظرات قاسية جافية بدلًا من تلك النظرات العذبة الحلوة التي كانت لها في السابق (ستأتي البقيَّة)

يوحنا فم الذهب

ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

للاب ايل رينو اليسوعي (تتمة لما سبق)

ان كانت الشواهد السابق ذكرها لامعة ساطعة لا تدع للمرتاب سبيلًا للشك في انَّ الجليل بين الآباء القديس يوحنا فم الذهب يقرّ برئاسة بطرس على الرسل وعلى الكنيسة قاطبة فاننا نجد لهُ ما هو اصرح بيانًا واجلى برهانًا على هذه الحقيقة الجوهريَّة التي هي كالمحك تُعرف بهِ بيعة المسيح من سواها

وما هذا البرهان المذكور الّا شرح الذهبي الفم على قول المسيح لبطرس في سفر يوحنا (٢١: ١٥—١٧) لمَّا ظهر الرب للتلاميذ بعد قيامتهِ عند بحيرة جنَّاسر فسأل سمعان بطرس ثلاثًا ايحبهُ فكان جواب بطرس في الثلاث الدفعات: « نعم يا رب انت تعلم اني احبك » فسلَّم اليهِ المسيح ثلاث مرَّات ايضًا رعاية خرافهِ وغنمهِ بقولهِ: « ارعَ

خرافي. . ارعَ غنمي ». فليوحنا فم الذهب كلامٌ مطوَّل في تفسير هذه الآية نقتصر منها على ما يأتي تعريبهُ (١:

« ما للرب قال لبطرس: ارعَ خرافي. وضرب الصفح عن بقيَّة الرسل ? اليس ذلك الّا لان بطرس كان رسول المسيح المصطفى ولسان التلامذة ورأس الفئة الرسوليَّة ولهذا السبب انطلق اليهِ بولس ليزورهُ دون غيرهِ. ثمَّ ان الرب بتسليمهِ الى بطرس رعاية اخوتهِ أولاهُ ثقةً في المستقبل وطمَّن بالهُ عن غفران خطيئتهِ ولذلك لا تراهُ يذكر تلميذهُ باثمهِ لمَّا جحدهُ ثلاثاً بل يقول لهُ فقط: ان كنت تحبني كن رئيساً على اخوتك وبيّن صدق محبَّتك نحوي بقيادتهم وابذل عن غنمي نفساً قلتَ لي انك تجعلها فداي (يوحنا ١٣: ٣٧)

فمن هذا القول يتضح انَّ الذهبي فمهُ لا يعتبر سؤال المسيح لبطرس ثلاثاً عن محبتهِ لهُ كتكفير عن جحودهِ المثلَّث لان هذه الخطيئة كانت غُفرت لهُ سابقاً. بل يعدّ ذلك كسبب لتوليتهِ على الكنيسة لكي يحوّل بطرس محبَّتهُ لشخص المسيح الى غنم المسيح الناطقة. وهذا الامر قد افصح عنهُ يوحنا فم الذهب في كتابهِ عن الكهنوت حيث قال (٢: « ما للمسيح يسأل بطرس: أتحبني. ألعلهُ يجهل ذلك. كلاَّ ثمَّ كلاَّ وكيف يجهلهُ وهو الاله العارف بكل اسرار القلوب ومكنونات الصدور. وانَّما اراد ان يبيّن لنا كم هي عظيمة همَّتهُ بغنمهِ »

وكأني هنا اسمع معترضاً يتصدَّى لي فيقول: ان كلام المسيح لبطرس ليس هو موجباً بل شرطيّاً اذ قال لهُ: إن كنت تحبني فارعَ غنمي ولكن من يبرهن لنا ان بطرس اتمَّ هذا الشرط واحبَّ حقيقةً خراف المسيح ليستوجب هذا الشرف العظيم ويكون راعياً يتقلد شؤون القطيع باجمعهِ ? فلندعنَّ الجواب ليوحنا فم الذهب فانهُ البحر الذي لا يُنزف وكلامهُ يجلي عن النفوس كلَّ شبهاتها. قال لله درهُ من قائل (٣: « من يستطيع ان يشكَّ في محبَّة بطرس الصادقة للمسيح. ولا ارضَ بشاهد آخر سوى عنايتهِ بعبيد المسيح قياماً بقول الربّ ان كنت تحبني فارعَ خرافي. فلننظرنَّ اذن كيف

---

١) راجع ميمرهُ ٨٨ على انجيل يوحنا (طبعة غوم ٨: ٥٩٨)

٢) راجع الكتاب الثاني منهُ (غوم ١: ٤٥٤)

٣) راجع خطبتهُ في « الايام الاخيرة » (غوم ٦: ٣٢٤)

احبَّ بطرس غنمَ المسيح محبَّةً ملتهبةً لنعرف بذلك محبَّتهُ لراعيها الصالح . . . » فهذا القول المسجدي قد اتبعهُ الذهبي فمهُ بعدَّة براهين تبيّن اهتمام بطرس بقطيعهِ وذلك ليس فقط بعد صعود المسيح الى السماء لكن ايضًا مدة حياتهِ على الارض

ثمَّ يعدّد كلام بطرس الى المسيح وسؤالاتهِ فيبيّن انَّ الصفا لا يلقي مثل هذه الاسئلة لنفسهِ الخاصّ بل لخير رعيَّتهِ والشعوب التي جُعلت ازمَّتها في يدهِ . فمن مثال ذلك قولهُ بعد ان سمع كلام الرب عن الاغنياء انهُ « لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات » فقال بطرس : « من يقدر اذن ان يخلص » وانَّما سأل ذلك لا لفائدتهِ الشخصيَّة اذ كان يعلم انهُ هو من المختارين الذين سيجلسون مع المسيح ليدينوا اسباط اسرائيل بل « لما كلّفهُ من العناية بخير مرؤوسيهِ » . وهذا النص طويل لا يمكننا اثباتهُ لطولهِ فاكتفينا بتلخيصهِ وللذهبي الفم في خلالهِ القابٌ جليلة تدلّ على رئاسة بطرس فيدعوهُ « متقدّم الجوقة الرسوليَّة ولسان كل التلامذة ورأس عائلة الرسل وسيد المسكونة باجمعها واساس الكنيسة وصفيُّ المسيح المضطرم حبًّا (١) »

وعاد يوحنًا فم الذهب الى بيان هذه الحقيقة في خطبة اخرى (٢ مبينًا نزاهة القديس بطرس في السؤالات التي عرضها على المسيح لاسيما عند قولهِ : « من يستطيع الخلاص » فألحق الذهبيُّ فمهُ هذه البراهين بما تعريبهُ : « انظر أيها السامع نزاهة بطرس وغيرتهُ على خلاص جميع البشر الذين يتولى رئاستهم فانهُ يعتني بخير رعيَّتهِ وذلك قبل ان يجعلهُ المسيح راعيًا . بِمَ بالمسكونة كلها قبل ان يقلّدهُ الرب تدبيرها . فيا لهُ من نفس ابيَّة خُلقت للرئاسة والملك »

ثمَّ ضرب امثلة أُخرى لبيان سموّ همَّة بطرس وعنايتهِ بخلاص مرؤوسيهِ كقولهِ للمسيح بعد منعهِ لطلاق المرأة (متى ١٩ : ١٠) : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الَّا يتزوج » . وكذلك سؤالهُ للرب : « كم من مرَّة يجب الصفح عن ذنب الاخ المذنب أإلى سبع مرَّات فقط » وغير ذلك من الكلام الذي اوردهُ القديس عن

---

١) وهاك نصّ كلامهِ في الاصل (٦ : ٢٢٤) τὸ (Πέτρος ὁ κορυφαῖος τοῦ χοροῦ, στόμα τῶν ἀποστόλων ἁπάντων, ἡ κεφαλὴ τῆς φατρίας ἐκείνης, ὁ τῆς οἰκουμένης ἁπάσης προστάτης, ὁ θεμέλιος τῆς Ἐκκλησίας, ὁ θερμὸς ἐραστὴς τοῦ Χριστοῦ)

٢) وهي خطبتهُ في مثل المَدين لغريمهِ بعشرة آلاف دينار (غوم ٣ : ٨)

لسان بطرس لينبئ بما جُبل عليهِ هذا الرسول من المحبَّة لرعيَّة المسيح مبيّناً انهُ اتمّ الشرط المفروض عليهِ لمَّا قال لهُ المسيح: «ان كنتَ تحبُّني فارعَ غنمي»

*

لكنّ الذهبيّ الفم قد صرَّح عن اهتمام بطرس برعيَّة المسيح خاصَّةً بعد صعود الرب الى السماء لمَّا باشر الرسول بالرئاسة على اخوتهِ. قال في ميمرهِ الحادي والعشرين على سفر اعمال الرسل وهو قول احرى ان يُكتب بحروف الذهب (١:« أننا نجد بطرس يتقدَّم الرسل في كل الامور. فهو اوَّل من سعى باختيار رسول بدلًا من يهوذا. هو الاوَّل الذي خطب الى اليهود ليدافع عن شرف الرسل لمَّا نسب الجمهور اليهم (يوم حلول الروح القدس) تهمة السكر. هو اول من شفى الاعرج. هو الاول في كل الخطب الى اليهود. هو الاول الذي تعاطى شؤون الكنيسة امام ذوي الامر. هو اول من خاطب كبير الكهنة. في ظلّهِ كانت تُحمل المرضى لتشفى من اسقامها. وحيثما كان خطرٌ على الرعية او يلزم تدبير امر كنت ترى بطرس يبذل نفسهُ الاول في كل ذلك. امَّا اذا كانت الامور جارية مجراها فكان هذا الرسول يتزج مع اخوتهِ كانهُ واحد منهم فيبيّن بفضيلة اتضاعهِ نفسها انَّ لهُ حقَّ الرئاسة ولو اراد لنال شرفًا اعظم. ولهذا السبب ينسى نفسهُ ولا يستعمل سلطانهُ في شؤون كثيرة مثلًا لمَّا فاوض اخوتهُ في العليَّة في شأن انتخاب خلفٍ ليهوذا فانَّهُ كان يستطيع ان يعيّنهُ هو وحدهُ (ἐλέσθαι αὐτὸν οὐκ ἐνῆν) لكنهُ تنازل عن حقّهِ فاشركهم معهُ بهذا العمل ومع ذلك تراهُ يخطب الاول في هذا الصدد لان الامر خاصٌ بهِ قد قُلِّدهُ يوم قال لهُ المسيح (لوقا ٢٢: ٣٢): وانت متى رجعت فثبّت اخوتك»

فأيم الله لا نفهم بعد هذا الكلام المطَّرد القياس الظاهر الحجَّة كيف يستطيع احدٌ ان ينسب الى القديس يوحنا فم الذهب جهلهُ برئاسة بطرس على الكنيسة جمعاء. فانَّ كلامهُ اضوأ من النهار واسطع من نور الشمس. ولم يأتِ بمثل هذه الاقوال البليغة مرَّةً واحدة بل الف مرَّة فتارةً يشبّه بطرس «بقائد جيش يطوف بين جنودهِ ليعرف اي كتيبة هي احزم واشدّ لتقوم في وجه العدوّ واي طابور احسن نظامًا واي فئة تحتاج

---

١) راجع غوم (٩: ١٨١)

الى مساعدته (١» وتارةً يمثلهُ في رئاسته على المجمع الاورشليمي حيث تفاوض الرُسل في نبذ الفرائض الموسوية فيقول عنهُ « انهُ اذن لغيرهِ من الرسل ان يتكلموا ويُبدوا رأيهم لكنهُ هو الذي تكلّم لابراز الحكم . . . وكلامهُ مماوء رفقاً واعتدالاً كما يحق لصاحب الامر وذي الرتبة السامية (٢»

*

ومما يكرّرهُ الذهبي الفم وَصفُهُ لبطرس كصخرة الايمان المدافع عن حوزة الحقّ والباذل نفسهُ دون العقائد الدينيّة التي استلمها من فم المسيح لان الرب جعل عليهِ كنيستهُ بنوع اخص فهو المسؤول عن سلامتها في وسط الاخطار . وهذا ممّا يُثبت باجلى بيان انَّ بطرس لم يكن فقط رئيساً شرفيًّا مجرَّدًا عن السلطة النافذة بل هو صاحب العقد والحلّ لهُ الحكم الفصل في كلّ امور الدين لان كنز الايمان لا يصونهُ الّا ذو الامر والنهي ولولاهُ لتضعضع وفُقد

ولتأييد هذه الحقيقة الجوهريّة ترى الذهبي الفم لا يدع فرصةً تفوتهُ دون ان يقرّرها في ذهن السامعين فطورًا يصف بطرس في وسط بحر الاضاليل وامواج الاضطهادات التي تساورهُ من كل جانب لكنهُ لا يعبأ بسَورتها إذ وقد وعدهُ المسيح بان ابواب الجحيم لا تقوى عليهِ (٣ .وطورًا يمثلهُ « كعمود الكنيسة وسند (τὸ στέρεωμα) الايمان وركن الاقرار وصيّاد الدنيا باجمعها (٤ » وحينًا يقابلهُ بالرسل اخوتهِ ومع تعظيمهِ لهم وللنعم الفريدة التي افاض الرب عليهم سجالها لا يتردَّد في القول « انَّ بطرس نال السلطة على الجميع (٥ » . ولذلك صعد بولس لاورشليم ليكرم بطرس وحدهُ ويقدّم لهُ الخضوع كرأس الكنيسة كما بيّنّا سابقًا

وهنا ينبغي ان نرى كيف يحلُّ الذهبيُّ الفم ذلك المشكل المتعلّق بهذين الرسولين لمّا قاوم رسول الامم في انطاكية بطرس الصفاة مواجهةً ولامهُ على اعتزالهِ من الوثنيين المتنصّرين خوفًا من اليهود (غلاطية ٢ : ١١) : فانهُ لو كان يوحنّا فم الذهب لا يعتبر بطرس رئيس الكنيسة لما ترك هذه الفرصة لايضاح معتقدهِ . وللقديس المذكور

١) راجع ميمرهُ السابق ذكره (غوم ٩ : ١٨١) ٢) الميمر ٣٢ على اعمال الرسل (٩ : ٢٧٦) ٣) راجع خطبتهُ ضد اليهود والوثنيين (غوم ١ : ٧٠٢)
٤) المجلد ٩ ص ١٨١ ٥) راجع ما سبق

ميمر طويل (١ في شرح هـذا الخصام الذي نجم بين هذين الرسولين « عمودَي الكنيسة ». ولكن بعد ان طالعنا هذه الخطبة الجليلة ليس فقط لم نجد فيها شيئاً مخلاً برئاسة بطرس بل لقينا فيها ادلَّة جديدة تؤيد سلطانهُ المطلق على بيعة الله. وذلك حتى في طريقة شرح فم الذهب لهذه المناظرة الواقعة بين بطرس وبولس اذ يدَّعي المفسِّر انهما لم يتشاجرا حقيقة وانما اتَّفقا ساعيًا في اورشليم على هذا الخصام ليجتذبا بهذا المنوال قلوب اليهود المتنصرين. وهو رأي ذهب اليهِ بعض آباء الكنيسة اليونانيَّة وتبعهم فيهِ القديس ايرونيموس وغايتهم في ذلك ان يدافعوا عن مقام بطرس الرسول ورئاستـهِ. وليس من شأننا هنا ان نبيّن صحّة هذا التفسير او فسادهُ ولكن حسبنـا ان نستنتج من شرح يوحنا فم الذهب اعتبارهُ لشرف بطرس الصفا وسموّ مرتبتـهِ حتى انهُ لم يُرِد ان يسلّم بخصام حقيقي وقع بين بطرس وبولس فالتجأ الى منازعة وهميَّة. والقديس يوحنا في هذا الميمر أقوال كثيرة تعظّم بطرس وتبيّن كل الخواص التي تفرزهُ عن سائر التلاميذ فنحضُّ كلَّ من لهُ إلمام باللغة اليونانيَّة ان يطالعها ليرى ما اودعها القديس من الثنـاء العاطر على هامة الرسل

*

وقد ادَّعى البعض من كَتَبَة البروتستانت وغيرهم ممَّن حذوا حذوهم ان بطرس لم يدخل رومية ومن ثمَّ لا داعي للقول بانهُ كان اسقفًا عليها. الَّا انَّ هذا القول فضلًا عن انَّهُ مردود من وجوهٍ شتى ينـافي تعليم القديس يوحنا فم الذهب فاسمع ما دوَّنهُ في تفسيرهِ للمزامير (٢: « كم من ملوك شيَّدوا المدن ومصَّروا الامصار قـد اضحى اليوم اسمهم نسيًا منسيًا امَّا بطرس الصيَّاد فانَّ ذكرهُ مخلّد بعد وفاتهِ في ملكة المدن يغلب فيها نورهُ نور الشمس وذلك لانهُ مارس الفضيلة » فاشارة يوحنا فم الذهب الى رومية واضحة في قولهِ السابق دعاها « ملكة المدن ». وقد صرَّح باسمها في محل آخر حيث قال (٢: « ان الملوك المعظمين في حياتهم لم يبقَ لهم اليوم ذكرٌ امَّا تلامذة المسيح فبعد المحن التي قاسوها في حياتهم تراهم ظافرين غالبـين... ها ان الملوك والولاة والقوَّاد يقصدون رومية لا لاجل مشاهيرها بل ليتبركوا بزيارة قـبر الصيَّاد وصانع الخيم (يريد

١) المجلد ٣ ص ٤٢٢ – ٤٤٥ ٢) راجع شرح المزمور ٤٨ (غوم ٥: ٥٢٥)

٣) راجع خطبتهُ ضد اليهود والوثنيين (١: ٦٩٧)

بولس الرسول) ». وفي خطبة لهُ القاها في انطاكية (١ يذكر ان من مفاخر هذه المدينة كون بطرس الرسول اوَّل اساقفتها ثم يُلحق كلامهُ بما حرفهُ: « لكننا لم نحتفظ لدينتنا هذا المعلّم الجليل فان مدينة رومية الملكيَّة ورثت منَّا هذا الكنز الثمين ». وقال في ميمره عن استشهاد القديس اغناطيوس: « ان اسقف انطاكية هذا كان ينبغي لهُ ان يقدّس مدينة رومية باستشهادهِ كما استشهد فيها قبلهُ بطرس وبولس ». فمثل هذه الاقوال الصريحة لا تحتاج الى تفسير الشارحين وتُفحم كل اهل العناد المكابرين

*

هذا وكان يمكنَّا ان نضبط عنان القلم عند هذا الحدّ لانَّ في اقوال يوحنا فم الذهب السابقة من الادلَّة على رئاسة بطرس ما يذلّل كلَّ الاهواء الجامعة ويستميل القلوب النافرة. ولا حاجة لأن نبيّن انَّ هذه الرئاسة لم تبطل بموت بطرس لان السلطان المعطى لهُ ليس بشخصي بل لخير الكنيسة التي هي باقية الى منتهى الدهر لن تقوى عليها الى الابد ابوابُ الجحيم. ولو اردنا لأتينا بشواهد من الذهبي الفم تؤيد ذلك

بيد انَّنا خوفاً من الاطالة المملَّة آثرنا ان نبحث عن سيرة يوحنا فم الذهب لعلَّنا نجد فيها ما يدل على خضوعهِ للكرسي الرسولي واعترافهِ بسلطة خلفاء بطرس فانَّ اعمال هذا القديس اقوى برهاناً واسطع بياناً من اقوالهِ نفسها

وهنا لا يمكنَّا الَّا ان نلخّص ما كتبهُ اصدق المؤرخين الذين عاصروا الذهبي الفم وسطَّروا ترجمة حياتهِ كبلّاديوس وسوزومان وغيرهما كثيرين قالوا: لمَّا توفي نكتاريوس بطريرك القسطنطينيَّة لم يجد الشعب وارباب الدين لهُ خلفاً اجدر بهذا الكرسي السامي من يوحنا الذهبي الفم الذي كان اسمهُ طبَّق وجه المسكونة. فتمنَّع القديس زمناً طويلاً معدًّا نفسهُ غير كفوء لاعباء هذه المرتبة السامية لكنَّ الملك اركاديوس اضطرَّهُ اخيرًا ان يلبّي دعوة المؤمنين والاكليروس القسطنطيني فخضع لمشيئة الله البيّنة. وما كاد يتبوأ الكرسي البطريركي حتى اخذ في تهذيب رعيَّتهِ واصلاح آداب الكهنة والاكليريكيين واستئصال العادات الباطلة وقمع المظالم لا تأخذهُ في عملهِ لومة لائم حتى انهُ لم يخف من التنديد بسوء تصرُّف بعض اعيان الدولة بل تصدَّى للملكة أفذوكسيا نفسها التي كانت تعضد المراطقة بسلطتها وتحلُّ عقال الشهوات. فثارت فوائرها وتسعَّرت غيظاً

١) راجع خطبتهُ في مقدمة اعمال الرسل (غوم ٣: ٨٥)

على البطريرك الغيور ولم يشفَ غليل حقدها حتى عقدت في القسطنطينية مجمعًا ترأسهُ ثاوفيلوس البطريرك الاسكندري وقضى فيه مع ٣٦ من اساقفته المتحزبين لاثندوكسيا بعزل الذهبي الفم. وصادق الملك على حكمهم وامر بنفي القديس. غير ان الله لم يلبث ان يضرب مدينة القسطنطينية بزلازل وآفات الجأت الملك الى اعادة وليّ الله الى كرسيهِ فأُعيد مكرّمًا. ولكنهُ لم يغيّر شيئًا من سلوكهِ السابق في إحياء معالم الادب ومقاومة الملاهي الباطلة وتقليم اظفار الغي والضلال حتى هاجت عليه الاضغان الكامنة ونُفي ثانيةً بمساعي اعدائهِ الى مدينة قاصية من بلاد الارمن فتوفّاهُ الله بعد مدةٍ ومات شهيد غيرتهِ الرسوليَّة على خدمة الكنيسة وخير النفوس في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧

لكن هذا الرجل العظيم لم يمت دون ان يظهر في وجه العالم كلهِ اعتقادهُ بسلطة الكنيسة الرومانيَّة التي طالما كان دافع عن رئاستها فما ابرز عليه المجمع القسطنطيني السابق ذكرهُ حكمهُ الجائر حتى رفع دعواهُ الى حبر الاحبار وارسل وفدًا الى القديس اينوكنتيوس الاول ليعلمهُ بظلم اعدائهِ طالبًا اليه كنائب المسيح وخلف بطرس هامة الرسل ان يبرئ ساحتهُ ويأخذ بناصرهِ ضدَّ اعدائهِ ويردَّهُ الى كرسيهِ المختلس جورًا ولدينا حتى الآن رسالة القديس الى الحبر الروماني تنطق بخضوعهِ لهُ ذكرهُ فوطيوس في مكتبتهِ. وكان في الوقت نفسهِ يسعى ثاوفيلوس بان يخدع اينوكنت وينال منهُ تثبيت مجمعهِ الباطل وكان ارسل الى البابا وفدًا مع رسائل من الملك مملوءة شكايات كاذبة على فم الذهب. لكنَّ راعي الرعاة لم ينخدع بهذه الظواهر الفريَّة وزيَّف اعمال المجمع وحكم ببراءة البطريرك القديس في مجمع عقدهُ في رومية. وكتب الى الملكين اونوريوس واركاديوس يستحلفهما بالله ان يعيدا يوحنا الى كرسيّهِ. ولمَّا توفّي القديس في اثناء ذلك لم يرد البابا ان يشارك بالاسرار اعداءهُ وبقي الامر على ذلك ١٨ سنة حتَّى كفَّروا عن ذنبهم واقرُّوا ببطلان المجمع الفاسد المنعقد ضدَّهُ واثبت خلف يوحنا فم الذهب اسم القديس في عداد البطاركة الشرعيين

فهذا ما صنعهُ الكرسي الرسولي مع ذلك البطل الذي جاهد احسن جهاد في المدافعة عن حقوق الرئاسة البطرسيَّة. وقد جازى هذا القديس الجليل كنيسةَ رومية لتبريرها اعمالهُ بان اغنى امَّ المدائن بذخائرهِ الثمينة وهي اليوم في كنيسة القديس بطرس حيث يكرّمها الكاثوليك اكرامهم لاعظم عبيد الله واوليائهِ القديسين نفعنا الله بشفاعتهِ

وردَ اخوتنا المنفصلين الى حظيرةٍ كان هو من اخضع غنمها تحت سيادة بطرس وخلفائهِ الشرعيين امين اللهمَّ امين

مطبوعات شرقية جديدة

DIVAN DES FARAZDAK

zweite Hälfte, von Dr J. Hell, *München*, 1901. SS. 71-193, XIII

ديوان الفرزدق (القسم الثاني . تتمة)

لمَّا ذكرنا في سنتنا الثالثة (ص ١٠٥٢) ديوان الفرزدق وتتمة نشرهِ بالتصوير الفوتوغرافي على يد ترياكيَّتنا الاديب الدكتور يوسف هِل كنَّا نظن انَّ النسخة المدونة في مكتبة ايا صوفيا تحتوي كل مجموع قصائد ذلك الشاعر الفحل . غير انَّ جناب الدكتور كان لحظ نقصاً بين القصيدتين ٤٦٧ و ٤٦٨ ونبَّه عليهِ في مقدّمتهِ الالمانيَّة . فما نشر هذا القسم الثاني حتى افادهُ احد اساتذة الانكليز المعلم بيڤان(Bevan) انَّ بين القصيدتين المذكورتين نقصاً كبيرًا يدل على ان يدًا اثيمة انتزعت من نسخة ايا صوفيا الوحيدة عدَّة كراريس تتضمن نحو مائتي قطعة شعريَّة . وهذه السرقة حديثة لانَّ العلاَّمة بوشه (Boucher) متولي طبع القسم الاول من ديوان الفرزدق كان استنسخ هذه المقاطيع . والدليل على ذلك انَّ نسختهُ المعدة للطبع تتضمن هذه القصائد بخط فارسي متقن . فاستأذن الدكتور هِلّ المعلم بيڤان بأخذ رسم هذه القطع ونشرها فلمَّا أذن لهُ اسرع الى رسمها بالتصوير الشمسي ونشرها على هذه الصورة فجاء هذه المرَّة ديوان الفرزدق تامًّا مستوفيًا . الَّا اننا نتأسف على ما جاء من اختلاف الطبع بين هذين القسمين فترى لكلّ منهما هيئةً خصوصيَّة بشكل الحرف وعدد الاسطر واطار الصفحات . فضلًا عن انهما يختلفان عن القسم الذي طبعهُ المسيو بوشه بالحروف الطبعيَّة ولنا الامل ان الدكتور هِلّ يصلح هذا الخلل في طبعة ثانية ويلحق عملهُ بالتذييلات التي من شأنها ان تزيدهُ نفعًا

يوميَّة الاحوال لسنة ١٩٠٢

هي المذكرة السنويَّة التي وضعها جناب صاحب جريدة الاحوال الاديب خليل افندي البدوي لتكون تحفة مفيدة لقرّائهِ الافاضل يستخدمونها لتقييد مصاريفهم وضبط حساباتهم

وتدوين مفكراتهم ومراجعة مواقيت اسفار البواخر فضلاً عن الافادات التي تتضمّنها كلّ القوائم لكل يوم من ايّام السنة

AL BURDATAN
ovvero due poemi arabi del « Mantello ».
Contributo storico critico di G. Gabrieli, Firenze 1901.
البردتان او قصيدة بانت سعاد وبردة البوصيري

يتضمّن هذا الكتاب باللغة الايطاليّة ترجمة قصيدتين شهيرتين لشعراء العرب احداها رائيّة كعب بن زهير التي بدؤها « بانت سعاد » والاخرى القصيدة الميميّة للعلّامة البوصيري. وقد تولى هذه الترجمة الدكتور غبرئيلي من مستشرقي ايطالية الشهيرين وذيّلها بملاحظات تاريخيّة ولغويّة وانتقاديّة من شأنها ان تزيدها فائدة تدلّ على رسوخ قدم صاحبها في درس اللغات الساميّة عموماً وآداب العربيّة خصوصاً ل. ش

شذرات

ردّ التهم — جاء في كرّاسة طُبعت حديثاً ان مجلّتنا « تثير اسباب النزاع بين الطوائف الكاثوليكيّة » وهي تهمة لم ننتظرها من رجل كاثوليكي تنفيها كل صفحة من صفحات المشرق الذي وقف ذووهُ نفوسهم على خدمة الطوائف الكاثوليكيّة. وان قال صاحب الكرّاس اننا اثرنا هذا النزاع بقولنا انّ اصل الروم الملكيين من عنصر آرامي بدلًا من العنصر اليوناني اجبنا انّ قولنا هذا نفسهُ شاهدٌ على رغبتنا في ضمّ الطوائف الكاثوليكيّة بوثاق المحبة اذ نثبت انهُ ليس بين ابناء هذه الطوائف « لا يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا حرّ » كما يقول الرسول بل انهم اخوان من اصل واحد ووطن واحد ولغة واحدة — ومن غريب التهم الواردة في هذا الكراس انّ صاحبهُ نسب الى المشرق انهُ قال عن اليونانيّة « انها لم تدخل سوريًا قبل القرن الثاني عشر » لكنهُ نسي ان يذكر في ايّ صفحة قلنا مثل هذا القول الكاذب. فما كنّا لنظن ان كاتب هذه الاسطر يحارب بمثل هذه الاسلحة — ونفيدهُ علماً ان الاب فاليليه كتب للاب لامنس في تاريخ ١٥ كانون الاول سنة ١٩٠١ يستميح منهُ عذرًا لما كتبهُ في صدى الشرق لانهُ « لم يطالع مقالتهُ في المشرق فخُدع بالكرّاس المرسل اليه » — امّا قول ساخو فهذا هو بالحرف (مجلة الشرق المسيحي ١٩٠١ ص ٤٧٦):

« A l'époque de la naissance du Christ, tous les habitants des anciennes régions sémitiques civilisées, qu'englobe une large courbe allant de la Palestine à l'Assyrie et à la Babylonie, en passant au nord au-dessus de la Syrie et de la Mésopotamie septentrionale, parlaient une seule et même langue, *l'araméen.* »

فلينظر القرّاء بايّ صدقٍ يستشهد صاحب الكرّاس بنصوص العلماء — امّا قول القديسة سيلثيا فهذا هو بنصّهِ اللاتيني ليعلم القرّاء انّ ترجمتنا هي الصحيحة لا ترجمة حضرة الاب قسطنطين باشا

الاصل اللاتيني	ترجمة الاب ق. باشا	ترجمتنا
Quoniam pars populi	في هذه البلاد فئة من السكان	انّ فئة من اهل القدس
et græce et siriste novit,	يعرفون اليونانية والسريانيّة وفئة	يعرفون اليونانية والسريانية وفئة
pars etiam alia per se	اخرى [يونان الاصل] ولا	اخرى لا يفهمون سوى اليونانية
græce, aliqua etiam pars	يعرفون الّا اليونانية والباقي [وهم	وفئة ثالثة يتكلّمون فقط
tantum siriste.	القليل] لا يعرفون الّا السريانية	بالسريانية

كلّ من لهُ المام باللغة اللاتينيَّة يرى انَّ القديسة سيلثيا في قولها المذكور تقسم اهل فلسطين واهل القدس خصوصاً الى ثلاثة اقسام يعرف قسم منهم السريانيَّة واليونانيَّة وقسمٌ اليونانيَّة وحدها والقسم الثالث لا يتكلَّم الّا بالسريانيَّة. امَّا حضرة الاب قسطنطين فتهم قول القديسة عن الفئة الثانية انها « يونانيَّة الاصل » ولم ينظر ان « græce » راجعة الى « novit » وانَّ « per se » معناها « فقط » اي « يتكلَّمون فقط باليونانيَّة » فعرَّب كما ترى وشوَّه المعنى. وكذلك في العبارة الثالثة فانَّ « tantum » راجعة الى « siriste » اي « يعلمون فقط السريانيَّة » ولو ارادت القديسة ان السريان قليلون لقالت « tantilla » لا « tantum ». ولا يفيد الشارح ان يزيد على النصّ فاصلًا (,) بين tantum و siriste لان هذا الفاصل يشوّش المعنى فضلًا عن انهُ ليس في الاصل

مطبعة البلمند — جاء في المنار (٢٦ كانون ١ ١٩٠١): ان مطبعة الشوير هي بالاصل المطبعة التي اتى بها البطريرك اثناسيوس من بقرش الى حلب نُقلت اولًا الى دير البلمند ثم اختلسها رهبان من الحلبيين المتكثلكين بعد ان اخرجوها ليلًا من هذا الدير. فنطلب من اخوتنا الرهبان الشويريين ان يفيدونا عن صحَّة هذه الرواية وهل مطبعة الفاضل عبد الله زاخر هي نفس مطبعة البلمند وهل اختلسها اخوتهم لمَّا خرجوا من هذا الدير. لأنَّنا اندهلنا من هذه التهمة الفريَّة

افادات سُئلنا قبل سنتين (المشرق ٣ : ١١٠٣) عن سبب تلقيب العذراء في القرض السرياني بمنديل سليمان (ܡܘܡܦܐ ܕܫܠܝܡܘܢ) فاجبنا ان للفظة ܡܘܡܦܐ معنى الحجاب ايضاً فيكون المعنى ان مريم البتول هي بمثابة حجاب هيكل سليمان لانها حجبت بولودها العجيب جلال ابن الله . وقد افادنا اليوم حضرة القس يوسف حبيقة البسكنتاوي ان البتول دُعيت بذلك اشارةً الى قول سليمان الحكيم في سفر الامثال (٣٠ : ٤) : « من صعد الى السماء ونزل . . . ومن خصر المياه في منديل » فالمسيح هو الماء الحي الذي حُصر في احشاء البتول فيكون مستودَعها شُبِه بهذا المنديل العجيب . ونسبتهُ الى سليمان لان الآية وردت على لسان سليمان . وهذا شرح حسن أيَّدهُ بنصوص أُخرى من كتابي التشمشت والباعوث فنشكر حضرتهُ على هذه الملاحظة — وقد افادنا ايضاً حضرة الاب اونجلوس عيد ان لفظة « بوليطاني » لقب يوسف الرامثاني التي ارتبنا في شرحها في المشرق (٥ : ٧) هي الكلمة اليونانية « Βουλευτής » الواردة في انجيل لوقا (١٣ : ٥٠) ومعناها المُشير ل . ش

أَسئِلة وَأَجوبة .

س سُئلنا عن الداعي لتغيير قولنا في اصل مكيتار فرونيا (المشرق ٥ : ٢٢) انهُ وُلد من والدين كاثوليكيين مع انَّنا سابقاً (المشرق ٣ : ٥٦) كنّا ذكرنا ارتدادهُ الى الكثلكة على يد المرسلين اليسوعيين

اصل مكيتار

ج كنّا سابقاً استندنا الى رواية حضرة الاب الفاضل د. ڤرنيه في كتابهِ تاريخ البطريركية الارمنية (ص٢٠٢) ولم نعلم ما هي الحجج التي حملتهُ على قولهِ . امَّا الكتب العديدة التي راجعناها لتدوين ترجمة مكيتار في اول عدد من هذه السنة فكلها لسان واحد على ان والدي مكيتار كانا كاثوليكيَّين . فاقتضى التنبيه

س وسأل من بيت جمال حضرة الخوري جرجس سبلاني في اي محل من البحر ألقى الملّاحون يونان النبي وفي اي مكان لفظهُ الحوت

يونان النبي

ج غاية ما يعلمنا الكتاب الكريم ان يونان ابحر من يافا الى ترشيش التي يرجّح العلماء المحدثون انها طرطوشة في اسبانية . امَّا محل البحر الذي طُرح فيهِ فمجهول . وكذلك قد اختلف الكتبة في المكان الذي لفظهُ اليهِ الحوت . ومن المحتمل ان يكون خان نبي يونس بين بيروت وصيداء هو المكان الذي نجا فيهِ النبي . والتقليد فضلاً عن اسم الخان يؤيد هذه الرواية ل . ش